وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي

بعنوان:

مواقف فقهاء المالكية من التوسعات المرابطية فيما بين (453 – 557 هـ)

إعداد الطالبتين:

– حدة شبيكة

– سارة زيتوني

إشراف الأستاذ:

– د.محمد حصباية

لجنة المناقشة		
الاسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الصفة
د.محمد الصديق محمودي	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	رئيسا
د.محمد حصباية		مشرفا
د.جمال بن مجدوب		مناقشا

السنة الجامعية: 2024/2023

شكر وتقدير

قال الله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ (النمل، الآية:19).

نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره ملء ما خلق على

توفيقي في مشوار إتمام هذا البحث

فإني أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الوقور الفاضل الدكتور

" د.محمد حصباية "

الذي كرمنا الله به للإشراف على بحثي هذا، فبارك الله له في وقته

وعلمه ورفع من شأنه

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى السادة الأساتذة

لجنة المناقشة على تقبلهم وتفضلهم لمناقشة هذه الرسالة

و أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من مدوا يد العون لنا والمساعدة

في إخراج هذه الدراسة على أكمل وجه.

مقدمة:

كان تأسيس دولة المرابطين منذ الوهلة الأولى وفق أساس ديني محض وخالص قائما على تبني المذهب المالكي و العمل بتعاليمه ، و ذلك لاعتبار بساطته و سهولة أفكاره و ملائمته لطبائع سكان البدو و أهل الصحراء ، إضافة إلى وجود تجارب سابقة للمذهب في بلاد المغرب، ثم العمل في مرحلة ثانية على نشره في المناطق التي شكلت حقلا لدعوتهم ، و مجالا لدولتهم فانتشار المذهب المالكي ساعدهم على التوسع فيما بعد، و التطلع أكثر إلى محاولة بعث القوى الإسلامية المثبطة و المعطلة ، واستنهاض همتها من جديد، هذا في أعقاب التفرق والإنقسام الذي دبّ في جسم الأمة الإسلامية وعدم قدرة حكامها على التحكم في أطرافها لاسيما البعيدة منها، وما صاحب ذلك من تفاقم لحالة الإضطرابات والحركات الإنفصالية ، كما هو الحال في الأقاليم الشرقية من الخلافة ، وببلاد المغرب الإسلامي، بالإضافة إلى تزايد الأخطار الخارجية الصليبية والمغولية من الشرق و المسيحية بالأندلس في الشمال و في المقابل عمل قادة الدولة المرابطية وزعمائها وبمساعدة الفقهاء، إلى الدعوة إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيحة والإقتداء بعمل السلف الأول في سيرتهم والتزامهم، لذا نجد أن الدولة قد اعتمدت في تمكين نفسها على مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، ورفعت راية الجهاد ضدّ المخالفين والمعتدين، وأعلنت حربا على البدع و الخرافات وكل ذلك جعل لدولة المرابطين الحضوة والقبول و الترحيب أينما حلت، واستنجد بها الفقهاء والعلماء والرعّية، لتخليص البلاد الإسلامية من تلك المفاسد والمظالم، وفتحت المدن و البلدان أبوابها لهؤلاء الملثمين المحاربين.

أما أهمية البحث فتكمن في كونه يرمي إلى تسليط الضوء على الدور الذي قام به زعماء دولة المرابطين من أمراء وفقهاء ، وكلّ من كانت بيدهم زمام الأمور، من أجل نشر المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي وهذا نتيجة تأثيرهم السياسي في صناعة الأحداث واتخاذ القرارات ، وإلى مكانتهم الإجتماعية المرموقة و المرهوبة بين الناس، الأمر الذي جعلهم أصحاب الدور الرئيسي و الحاسم في تحديد طبيعة التوجه السياسي

والمذهبي الذي اختارته واتبعته هذه الدولة وفرضته في الأقاليم و الأقطار التي ضمتها إليها في بلاد المغرب و الأندلس.

وانطلاقا ممّا سبق ذكره فإنّه بإمكاننا صياغة الإشكالية الآتية: نظرا لدعوة الدولة المرابطية إلى الجهاد والتوسع ونصرة الإسلام، ما مواقف الفقهاء من هذه التوسعات للدولة المرابطية طيلة فترة حكمهم؟ وما دور الفقهاء في هذه التوسعات ونتائجها على الدولة المرابطية ؟

وبما أن الدولة المرابطية كانت ذات تكوين ديني إسلامي صرف، فأين تكمن أهم الأصول الدينية والمذهبية التي قامت عليها الدعوة المرابطية واستنبطت منها مبادئها و تعاليمها ؟ وما هي دوافع تبني المرابطين للمذهب المالكي؟ وما هي أهم آثارها على المجتمع المرابطي ؟ وما موقف ودور الفقهاء في توسع الدولة المرابطية ؟ هذا الذي سنحاول التطرق إليه من خلال موضوع بحثنا .

اعتمدنا في معالجة موضوع بحثنا هذا على المنهج التاريخي، المعتمد على جمع المادة التاريخية من مضانهاوعرضها، والمتعلقة بالأحداث التاريخية المرافقة لتطور حكم دولة المرابطين من أمراء وتوسعاتهم، و تبني حكامها للمذهب المالكي، وفرضه في الأقطار التي خضعت لهم، وكان لابد من دعمه بالمنهج الوصفي لأسباب إقبال المرابطين على المذهب المالكي، وتفضيله على غيره من المذاهب، وبيان الأسس المذهبية للحكم المرابطي وأثر الإلتزام بالمذهب على الدولة والمجتمع، وما مدى تأثير الفقهاء في المجتمع المرابطي ومواقفهم من التوسعات المرابطية؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة بحث تتكون من مقدمة، وفصلين: **الفصل الأول:** عوامل توسع المذهب المالكي في الدولة المرابطية.

- الأسس المذهبية التي قام عليها حكم الدولة المرابطية.
- دوافع تبني المرابطين للمذهب المالكي.
- أسباب نفوذ فقهاء المالكية في مجتمع المرابطين، وأهم آثارها على المجتمع المرابطي.

الفصل الثاني : موقف المالكية من توسعات المرابطين.

- المرحلة الصحراوية، المرحلة المغربية، المرحلة الأندلسية، ثم الخاتمة .

واعتمدنا على مصادر أهمها : ابن عذارى المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، عبد الرحمن بن خلدون، العبر والديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، [1] ابن الخطيب الحلل الموشية.

ومراجع نذكر منها :[1] الدكتور سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تشقين أمير المرابطين ، إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، علي محمد الصلابي، فقه التمكين عند دولة المرابطين، محمد الخطيب، سبتة ودورها في إثراء الفكر الإسلامي .

وأما عن الدراسات و الأبحاث السابقة التي تطرقت لموضوع البحث بالتفصيل، نجد فقط بعض الدراسات التي تناولت في ثناياها جوانب منها، دراسة حسن علي حسن المعنونة ب: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، الذي تحدث فيها عن الدعوة الدينية المرابطية المالكية، وتوسعها وانتشارها، وعن تاريخ دولة المرابطين وأسس حكمها، بالإضافة إلى كتابات الهنتاني نجم الدين التي من أبرزها المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن (5هـ /11م) ، حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، و التي حملت الإشارة إلى تاريخ الدعوة المرابطية و مراحلها وأصولها المالكية و أسباب تمكينها، إذ استنـــار البحث كثيرا من هذه الدراسات وغيرها، التي تناولت بإسهاب دولة المرابطين منذ ظهور دعوة ابن ياسين المالكية إلى مرحلة تأسيس الدولة، إلى صراعها العسكري والمذهبي مع الموحدين وزوالها على أيديهم.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات نذكر منها: ضيق الوقت نتيجة الإلتزامات بالوظيفة تزامنا مع شهادة التعليم المتوسط ، وشهادة البكالوريا.

نحاول من خلال هذا الفصل الحديث عن دور المذهب المالكي وأثره في قيام الدولة المرابطية ،التي كان تأسيسها من البداية وفق أساس ديني عقائدي قائم على الدعوة الدينية ذات التوجه المذهبي المالكي التي قادها الفقيه عبد الله بن ياسين، والإشارة كذلك إلى أسباب تفضيل المرابطين للمذهب المالكي على غيره من المذاهب في دعوتهم ودولتهم والحديث أيضا عن الأسس المذهبية التي قام عليها حكم دولة المرابطين التي منها، إعادة نشر مبادئ الدين الإسلامي الصحيح وإحيائه وفق تعاليم المذهب المالكي وتحقيق فكرة التوحيد المذهبي لبلاد المغرب والأندلس والتطرق كذلك إلى آثار ومظاهر الالتزام بتعاليم الدعوة للمذهب المالكي في الدولة ومن بينها المجتمع المرابطي والتشدد في تطبيق أحكام الدين ، والاعتماد على العلماء والفقهاء في إدارة شؤون الدولة وشغف المرابطين بالعلم والتفقه في الدين وغيرها من المظاهر [1].

[1] عدة الشيخ ولد جلول ، الأسس المذهبية للدولة المرابطية وأبعادها المالكية ، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 2،الإصدار 1، 2021 ، ص207.

الفصل الأول

المبحث الأول: الأسس المذهبية التي قام عليها حكم المرابطين

وهي التي شكلت القواعد الأساسية لبناء هذه الدولة وارتكز عليها حكامها في إدارة شؤون البلاد وذلك التزاما وتمسكا بتعاليم دعوتها، التي رسمت الفقيه عبد الله بن ياسين وصار على نهجها الأمراء المتعاقبين في الحكم وفيما يلي، تفصيل لأهم الأسس التي قام عليها حكم دولة المرابطين في بلاد المغرب والأندلس.

1. إعادة إحياء وبعث فريضة الجهاد

بحكم طابعها الديني المتميز ورسالتها النبيلة والمتمثلة في تبليغ رسالة الإسلام وقد توسعت دولة المرابطين في مبدأ الجهاد كثيرا وأعادت إلى الأذهان سورة الفتوحات الإسلامية الأولى أيام الخلفاء الراشدين والأمويين، فعاشت طوال فترة حكمها رغم قصرها من أجل الجهاد (447-542هـ)/(1055-1148م)، وسخرت كل مواردها لهذا العمل الجليل ، وجعلت من البلاد التي فتحوها وتملكوها معسكرا ضخما، جاهزا لخوض المعارك والحروب وكذلك عاش لهذا الغرض أمراؤها الذين لا يبغون من الدنيا سوى الإصلاح[1]. ورغم انشغالها بهذا الركن العظيم، إلى أنّها لم تغفل باقي الجوانب الحضارية والإجتماعية في هذه البلاد وأرست قواعد الأمن والطمأنينة بين الناس، فازدهرت الحياة الإقتصادية والثقافية في جميع أرجاء الدولة[2]. فقبائل الملثمين التي قامت على أكتافها دولة المرابطين كانت في الواقع قبائل بدوية ولكنها إمتازت بأنّها قبائل بناءة وغير مخربة، فلم تكن تغزو غيرها من القبائل لمجرد السلب أو النهب[3].

---

[1] حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين صفحه مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، القاهرة ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، ص261 .

[2] المرجع نفسه ، ص 325.

[3] ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينه فاس، تصحيح يوحنا تورنبرج ، طبعة اوبسالية، عام 2017 ، ص157 .

بل من أجل نشر العقيدة السليمة، ولتصلح من إعوج في الدين، والفضل في ذلك كلّه يعود لإمامهم عبد الله بن ياسين، الذي ربّاهم على العقيدة السليمة وعلى التضحية والجهاد في سبيل نصرة دين الله فقد أثّرت فيهم هذه العقيدة، التي تلقوها في البدء، كما فتحت عقولهم للثقافة الإسلامية والتراث الأصيل، وترك التعليم في نفوسهم أبلغ الأثر فبادروا منذ اللحظة الأولى التي وطأت فيها أقدامهم أراضي المغرب يقبلون على المدارس بحماس كبير لأجل التحصيل والتّعلم، بل أنّهم انكبوا على العلوم ينهلون منها ويأخذون منها بنصيب وافر.

2. التوحيد المذهبي لبلاد لمغرب والأندلس

قبل قيام دولة المرابطين كانت هناك بعض المحاولات لتبني المذهب المالكي ونصرته ومنها، التي قامت بها دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة، (172- 364هـ) /(789 -975م) ، و التي دعمت ووطدت المذهب المالكي بالبلاد، لكن خلال الفترة التي عقبت سقوط هذه الدولة وحتى قيام دولة المرابطين، دخل المذهب المالكي في صراع مع الفرق الأخرى من شيعة وخوارج وغيرها من الفرق والمذاهب، حتى انتصرت في النهاية[1].

وتعد قضية التوحيد المذهبي من أهم المسائل التي عمل المرابطين على تحقيقها في بلاد المغرب ، حتى تمكن المذهب المالكي في عهدهم من السيطرة على باقي الفرق والمذاهب المنتشرة بالمغرب،[2] المذهب الخارجي، الذي كانت تعتنقه إمارة بني مدرار بسجلماسة والمذهب البرغواطي الذي كان قد باض وفرخ في تاماسنا[3].

---

[1] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانيجي،القاهرة، عام1980 ، ص464 .

[2] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،الجزء 6 ،(د، ط)، تحقيق خليل شحادة ومراجعة سهيل زكار،دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2000م ،ص244 .

[3] حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فتره الانتقال من المرابطين إلى الموحدين ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، مج1 ، ص20 .

وفي هذا الصدد يقول عبد الواحد المراكشي: « ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلاّ من علم علم الفروع أعني فروع مذهب الإمام مالك، فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحدا من مشاهير ذلك الزمان يعتني بهم كلّ الإعتناء »[1]، إلى ذلك فقد صارت الفتوى والأحكام مستمدة من مذهب الإمام مالك[2]، حتى نهاية حكم الدولة المرابطية، ولا يلتفت إلى غيرها من الأحكام ويستشف ذلك من رسالة صادرة عن الأمير تاشفين بن علي بن يوسف إلى أهل بلنسيا سنة(538هـ-1143م)، التي حدد فيها لهم بأن مناطق الأحكام في الدولة ، هو مذهب الإمام مالك بن أنس ، ومن ناحية أخرى فقد صارت المدن المغربية أثناء حكم المرابطين مراكز لدراسة المذهب المالكي وتخريج العلماء المالكيين من هذه المراكز، كمدينة تلمسان التي كانت دار العلماء والمحدثين وحملت الرأي على مذهب الإمام مالك[3].

وقد أنجبت البلاد كثيرا من علماء المالكية الذين حفلت بهم المجالس والندوات ودور العلم، وفي مقدمتهم القاضي عياض الذي برز دوره في رفع لواء الثورة ضد عبد المؤمن بن علي والموحدين، فكان بذلك المدافع على مذهب الإمام ضدّ دعوة الموحدين القائمة على أفكار المهدي بن تومرت، التي ارتكز فيها على تشتيت العلماء والفقهاء والمرابطين، من خلال اهتمامهم بالفروع وتركهم للأصول، ومعارضتهم لعلم الكلام لكون ابن تومرت لم يستطع مهاجمة المذهب المالكي الذي أصبح عقيدة ومذهب عامة الشعب، الأمر الذي جعله يتحايل على أتباعه، بأن ألف لهم كتابا أسماه – الموطأ– في الحديث، وذلك على شاكلة كتاب موطأ الإمام مالك الذي جمع فيه جميع الأحاديث النبوية التي

---

[1] ابن الأبار ، معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،2000م، ص271.

[2] الهنتاني جمال الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، 2004، (د، ط) ، ص134 .

[3] أبو بكر بن علي، بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط ،1971، ص 59.

وردت في موطأ الإمام مالك بعد حذف معظم الإسناد منها للإختصار، وهو ثاني أهم كتبه بعد كتاب المرشدة في التوحيد والعقيدة[1].

ونظرا لمكانة المذهب المالكي، وتقديرا لتضحيات المرابطين في سبيل نصرته وحفاظا على وحدة البلاد السياسية والمذهبية، فقد كان من الطبيعي أن يتصدى الأمراء المرابطين لكل المواقف والأحكام المخالفة لهذا المذهب، الذي تقوم عليه سياسة الدولة وتقاليدها وأن يعتبروها بدعا يجب محاربتها، والتخلص منها ، مثلما كان الأمر مع حادثه إحراق كتب أبي حامد الغزالي، التي أعتبرت في نظر السلطة المرابطية مثالا للإنحراف عن الإتجاه المذهبي الرسمي للدولة وغيرها من الأحداث، التي وقعت مع المتصوفة بالأندلس[2].

ومهما يكنّ فإن المذهب المالكي قد توطدّ فقها واعتقادا في بلاد المغرب أثناء عصر المرابطين خاصة ، وأن المغاربة قد شايعوا مذهب الإمام مالك فقها وسلوكا وعقيدة إلى أن تجدد الجدل المذهبي في بلاد المغرب ، في أواخر العهد المرابطي مع الموحدين واشتد الخلاف بينهم إلى حد التناحر والقتال وتكفيرطرفا للآخر[3].

كما واكبتب الرسائل المرابطية هذا الصراع المذهبي في بلاد المغرب، وعكست حرص المرابطين الشديد على وحدة المذهب المالكي، ومنها على سبيل الذكر رسالة الأمير تاشفين بن يوسف التي وجهها إلى واليه علي بلنسية أبو زكريا يحيى بن غانيا الذي يحثه فيها، على ضرورة التمسك بمذهب الإمام مالك والتصدي لما سواه وضرورة الالتزام بالإفتاء وفق المذهب المالكي، ومما ورد في قوله: « واعلموا رحمكم الله أنّ مدار الفتيا ومجرى الأحكام والشورى في الحضر والبدأ على ما اتفق عليه السلف الصالح رحمهم الله ، من الإقتصار على مذهب أبي عبد الله مالك بن أنس فلا عدول لقاض ولا

[1] حسن علي حسن ، المرجع السابق ، ص 464 -465.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ص272.

[3] المصدر نفسه، ص273.

مفت عن مذهبه، ولا يأخذ في تحليل ولا تحريم إلاّ به، ومن حاد عن رأيه بفتواه ومال عن الأئمة إلى سواه ، فقد ركب رأسه وأتبع هواه »[1] .

قد يأتي نص هذه المراسلة في إطار نصرة المرابطين للمذهب المالكي، ومحاصرة التيارات والفرق الأخرى ومحاولة التصدي للإضطرابات المذهبية والفكرية، التي تسببت فيها بعض الحركات الفكرية الصوفية في بلاد الأندلس، كحركة ابن مسرة، وابن برجان وابن قسي، الذي يعد صاحب أول ثورة ضدّ المرابطين في المغرب الإسلامي[2]

وربما هو الأمر الذي يمكن من تفهم الأوامر التي تضمنتها رسالة تاشفين بن علي الموجهة الى قاضي قضاته بإشبيلية، والتي تقضي بضرورة الالتزام والاقتصار على مذهب الإمام مالك، واتخاذه دليل العمل الوحيد في أحكامهم وفتاويهم، وتهديد عدم الملتزمين به بالعقاب باعتبارهم خارجين عن الإجماع الذي اتفق عليه السلف الصالح والذي سالت دماء المرابطين من أجل جمع كلمه المغاربة عليه [3].

3.محاربة البدع والضلالة والتصدي لها

حرصا منهم على مواصلة رسالة داعيتهم الأول عبد الله بن ياسين فإن الزعماء المرابطين قد جعلوا قضية البدع على رأس القضايا التي تجندوا للتصدي لها ومحاربتها، رافضين أي تحريف أو تبديل في الدين، من خلال الأمر بمعاقبة أصحابها والقضاء على معالمها، وذلك حفاظا على وحدة الأمة وسلامة مذهبها الرسمي، ولذلك كان الأمراء المرابطون يبادرون إلى تنبيه أتباعهم على ضرورة الالتزام بأحكام الشريعة وسلامة آداء الفروض الدينية، واجتناب أي تحريف أو تبديل قد يدخل بأصول العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومن هذا المنطلق تصدى المرابطون لكل الأفعال التي تسيء إلى

---

[1] الهنتاني ، المرجع السابق ، ص135.

[2] البكري ، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د، ط) ، ص7.

[3] ابراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصرالمرابطين (المجتمع ،الذهنيات، الأولياء) ، ط1، دارالطليعة، بيروت،1993 م ، ص163 .

الدين، ويتضح ذلك من مواقفهم التي تعكسها رسائلهم إلى عمالهم وولاتهم في الأقاليم، كالرسالة التي بعث بها الأمير علي بن يوسف إلى القائد أبي محمد بن فاطمة عامله على إشبيلية، يأمره فيها بعزل أي عامل عن عمله ومعاقبته في بدنه إذا ما ثبت عليه أي تحريف في الأحكام الدينية، وممّا ورد فيها قوله:« ومن تثبت عليه من عمالك زيادة أو حرفا في أمر عاد أو غير رسم وبدل حكما وأخذ لنفسه درهما ظلما فعزله من عمله وعاقبه في بدنه»[1] .

كما يتبين من الرسالة أيضا موقف المرابطين الداعي إلى تقيد العمال في شؤون تدبير حكمهم بأصول العقيدة الصحيحة التي جاهدت الدعوة المرابطية من أجل تثبيتها في البلاد ، وعدم السماح بأي تحريف لرسومها أو انتفاع منها ومعاقبة المخالفين لأوامرها، ولعّل من أبرز المظاهر تجسيدا لموقف المرابطين الصارم من البدع حفاظا على وحدة المذهب المالكي– قضية إحراق كتاب إحياء علوم الدين– للإمام أبو حامد الغزالي التي بدأت في عهد الأمير علي بن يوسف وامتدت إلى عهد ابنه تاشفين، وتجاوز صداها بلاد المغرب نحو بلاد المشرق في مطلع القرن السادس الهجري[2] .

وإننا نجد في رسائل المرابطين ما يؤكد دعوتهم إلى إحراق كل ما عدّ عندهم من كتب البدع، واستئصال شأفتها ، ومنها كتب أبي حامد الغزالي التي وردت الإشارة إليه بالإسم في إحدى رسائل تاشفين، وممّا جاء فيها قوله مخاطبا أحد ولاته:«... ومتى عثرتم على كتاب بدعة ، أو صاحب بدعة وخاصة وفقكم الله كتب أبي حامد الغزالي، فليتبع أثرها، وليقطع بالحرق المتتابع خبرها، ويبحث عليها، وتغلظ الأيمان على من يتهم بكتمانها»[3].

---

[1] ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ت ح: إحسان عباس ،ط3 ،دار الثقافة ،بيروت، ص63 .

[2] حسن علي حسن ، المرجع السابق ،ص451 .

[3] صالح أحمد الشامي، الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة ،ط2، دار القلم دمشق 2002 م، ص71 .

لكن الأمرالذي يتطلب التنويه إليه هو أنّه و على الرغم من كل الدوافع والأسباب المسوغة لعملية الإحراق، فإن موقف فقهاء المالكية الموالين للسلطة المرابطية لم يكن موحدا تجاه كتاب الإحياء، فإن كان القاضي بن حمدين يمثل الجناح المتشدد، فإننّا نجد فقهاء آخرين كان لهم موقف مغاير تماما، منهم أبو محمد عبد الله الرجراجي (540هـ-1145م)، وأبو الحسن علي بن محمد الجذامي من أهل ألميرية الذي أوجب تأديب محرقها[1]. وأبو الفضل ابن النحوي (513هـ-1119م)، الذي كان له اعتناء بالإحياء.

فعندما أفتى الفقهاء بإحراق الإحياء ووصل كتاب علي بن يوسف بن تاشفين بتحليف النّاس بالإيمان المغلظة أن ليس عندهم الإحياء، كتب إلى السلطان، وأفتى بعدم لزوم تلقي الإيمان، ونسخ بنفسه كتاب الإحياء في ثلاثين جزءا، وأبو محمد عبد الله المليجي المتوفي قبل (540هـ- 1145م)،الذي وصف بأنه كان شديد الورع والزهد« ولما أفتى الفقهاء بمراكش بإحراق كتاب الإحياء للغزالي وأحرق بصحن جامع السلطان، سأل أبو محمد عن الذين أفتوا بإحراقه، فكان كلّما سمي له واحد منهم دعا عليه، ثم قال: والله لا أفلح هؤلاء الأشقياء»[2] .

4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهو من الواجبات الشرعية التي اتفقت الأمة الإسلامية على وجوب الأخذ به، امتثالا لأوامر القرآن الكريم والسنة المطهرة المتمثلة في قوله تعالى :﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[3].

---

[1]ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، الرباط1984، ، ص145 .

[2]صالح أحمد الشامي، المرجع السابق، ص72 .

[3]ابن حزم ، الفصل في الملل و الأهواء والنحل ، ت ح : محمد ابراهيم نصر وآخرون، (د، ط) ، دار الجيل بيروت، ج 4، ص173.

ويرى بعض المؤرخين بأن فقهاء المالكية في المغرب قد شنوا حرب على المنكرات، فضيقوا على أهلها في ملاهيهم، بل حاربوا جميع النحل والفرق الضالة الصفرية والشيعة ذات المعتقدات الضالة والفاسدة، وكان طبيعيا أن يرتسم عبد الله بن ياسين خطى هؤلاء الفقهاء، فلم يكتفي بتعليم النّاس وتفقيههم في دينهم، بل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، واستطاع أن يجند أمة بأسرها تقوم بذلك، وأن يخلق جيلا من المحاربين الأشداء الذين يتعصبون لفكرته، ويسارعون إلى نصرته ،ويبايعونه على الحق،[1] وهو في ذلك قد التزم حدود الشرع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأمر بقلبه وبلسانه ، وسالم وأصلح، أنذر وأعذر، حتى أخفق فلم يجد مناصا من سلّ السيف دفاعا عن الحق، وإذا كانت أحكام الأمر بالمعروف والنهي المنكر تقتضي: «بألا يؤخذ مال المسلم بغير حق، ولا يضرب ظهره بغير حق». فإنه لم يرد عن ابن ياسين أنه تجاوز هذا الحد، وإن كان لا يحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن :« يهتك حريما ولا أن يأخذ مالا بغير حق» . فإن ابن ياسين قد عفّ عن ذلك، بل كان حربا على الإثم والبدع أينما كانوا، فلا تكاد عصبته تطأ أرضا حتى تغير المنكر، وتقطع المزامير وتريق دنان الخمر[2].

5. التزام أحكام الشرع في الفروض الدينية

حرص عبد الله بن ياسين في بداية دعوته على تعليم الناس الصلاة والزكاة وأحكام الصيام ، وذلك بعدما وجدهم لا يعرفون من الإسلام إلاّ الشهادتين ،فإقامة الصلاة وتأديتها على أحسن وجه، كانت تحتل ركنا أساسيا في اهتمامه، باعتبارها الركن الأول من العبادة بعد الشهادتين، لذا كان يلزم أتباعه بالمحافظة على الصلاة وتأديتها مع الجماعة، ومن تخلف عنها يضربه عشرين صوطا، وأمّا الزكاة التي هي الركن الثالث من

[1] ابن حزم ، المصدر السابق ، ص173 .

[2] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص71.

أركان الدين، فقد بيّن عبد الله بن ياسين لإتباعه مقاديرها وحددّها لهم وفق معايير الشرع ،وقضى على كل المغارم والمكوس والأموال التي كانت تخالف أحكام الدين[1].

والملاحظ هو أنه من بين المبادئ الإصلاحية التي أخذ بها عبد الله بن ياسين في دعوته ،هو أن يزيل على الناس ما كانوا يعانون منه من ضرائب جائرة فرضها الحكام الظالمين على رعيتهم، وقد اضطر ابن ياسين إلى رفعها عن الناس، واكتفى بما أوجبه عليهم كتاب الله وسنة نبيه من زكاة، والعشر على أهل الذمة الذين يتاجرون في بلاد المسلمين، كما كان ابن ياسين يرتب العمال في كل البلاد التي يحل بها، ويأمر بإقامة العدل وإظهار السنة، وأخذ الزكاة والعشر من القبائل، وإسقاط ما سوى ذلك من المغارم التي طالما كانت السبب في تمردهم وانحرافهم عن الجهاد[2].

فكان لهذه الإصلاحات التأثير البالغ المدى في تاريخ الدعوة المرابطية، بأن أظهرت للناس في بلاد المغرب والأندلس أن المرابطين لا يبغون جاها ولا مالا، إنما يبغون الإصلاح وإنقاذ الناس من الجور والتعسف، فأخذ الناس يتطلعون إلى هذا الشعب الذي بعث بعثا جديدا، ويستنجدون بهم من ظلم حكامهم، ويرحبون بهم، وتأييدهم في كل مكان [3].

[1] صالح أحمد الشامي،المرجع السابق، ص74 .

[2] عدة ، المرجع السابق ، ص16 –17.

[3] حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص174.

المبحث الثاني : دوافع تبني المرابطين للمذهب المالكي

لا يختلف اثنان حول ما تناقلته المصادر من أخبار عن تعدد الديانات والمعتقدات التي كان البربر سكان أفريقية والمغرب قد آمنوا بها، ومارسوا طقوسها قبل وصول الإسلام إليهم ، والتي كانت في الغالب نابعة من الطبيعة البيئية والإنسانية كسائر الأمم والشعوب البدائية، أو أنّها تكون تابعة لديانة الغازي الأجنبي المتغلب على بلادهم، فزيادة على عبادة الأوثان والأصنام فمنهم من تنصر ومنهم من تهود، وآخرون كانوا مجوسا يعبدون الشمس والقمر والأصنام، وهذا هو الذي قد ذهب ابن خلدون إلى ذكره في قوله: « فإن ديانة قبائل صنهاجة أهل اللّثام قبل أن تبلغهم حملات الفتح العربي (الإسلامي)، كانت المجوسية شأنها في ذلك شأن معظم برابرة المغرب... ولم يزالوا مستقرين على تلك الحال حتى كان إسلامهم بعد فتح الأندلس لعهد المائة الثالثة» [1].

ووفق ما ذهب إليه ابن خلدون، فإن إسلام صنهاجة اللّثام قد بدأ في عهد عقبة ابن نافع، وتأكد في عهد الأدارسة ووضح وضوحا تاما في القرن الثالث ،الهجري التاسع ميلادي. بذلك تكون القبائل الصنهاجية، قد تعرفت على الإسلام لأول مرة بعد اصطدامها بحملات الفتح الإسلامي الذي مسّ بشكل خاص قبائل صنهاجة الضاربة في بلاد السوس الأقصى[2]، إلاّ أنّ هذه العملية لم تؤد إلى إسلام كل الصنهاجيين بشكل نهائي ،لأنّ المصادر ظلت تتحدث بعدها عن قدوم حملات أخرى إليها، كانت تنطلق من بلاد السوس في اتجاه الصحراء، ويفترض أنها وصلت إلى حدود نهر السنغال[3].

غير أن وصول الإسلام للقبائل الصنهاجية وتعرفها عليه، قد لا يعني تمكين الإسلام بينهم بشكل كاف، بدليل حالة البعد عن تعاليم الإسلام والجهل بأركانه، التي أوجدتهم عليها داعية المرابطين عبد الله بن ياسين في بداية بث دعوته بينهم، بل إنّ ما

---

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 182-183.

[2] عبد العزيز السيد ، المغرب الكبير، القاهرة 1966، ج2 ، (د، ط) ، ص 19.

[3] المرجع نفسه ، ص 192.

يمكن فهمه من وجود المذهب السني بالمنطقة هو تميز الإسلام الصنهاجي عمّا جاوره من المذاهب والفرق المنتشرة آنذاك حول الصحراء، ومن هنا لم ينسب الصنهاجيون أي من تلك الفرق والمذاهب، ولم يصنفوا في الروايات التي أشارت إليهم إلاّ في عداد أهل السنة. فهل كانت هذه الصفات المميزة لإسلام قبائل صنهاجة المرابطية في البداية بكونه سنيا، بمثابة العامل الحاسم والمؤثر في الإختيارات المذهبية للدعوة والدولة المرابطية فيما بعد؟

ومما سبق ذكره يتبين بأن هناك عدة عوامل كثيرة تقف وراء إقدام المرابطين على تبني المذهب المالكي، وجعله المذهب الرسمي لدعوتهم ودولتهم لاحقا[1]، منها عدم تقبل قبائل صنهاجة الصحراويين للنزاعات والإختلافات العقائدية و الإيمانية المبنية على التأويل والتجريد، وإمعان الرأي والعقل بدل النص والنقل التي تحملها عقائد الفرق وأفكارها والمذاهب الأخرى من معتزلة وأشعرية و إسماعيلية وخوارج وغيرها، البعيدة عن متناول فهم العامة وعقولهم ، هذا بالإضافة إلى قلة وجود أصحاب علم[2] الكلام في الصحراء وقلة تأثيرهم، مما ساعد على اختفاء معتقدات هذه الفرق من المذهب الرسمي، الذي استقر عليه الإسلام المرابطي، وكانت المساعدة في تمكين المذهب المالكي في الصحراء وفي فكرة الدعوة المرابطية، فطبيعة المذهب المالكي من حيث مبادئه الإبتعاد عن أساليب أصحاب علم الكلام والرأي والتعقيد، ومن ثم ذلك الأصل المالكي القائم على كراهة ما ليس تحته عمل من قضايا ومسائل الأحكام ، فالمذهب المالكي لا يقوم على الرأي والقياس بقدر ما يقوم على النص والنقل وعلى الأثر والرواية[3].

---

[1] حسن أحمد محمود ، المرجع السابق، ص 71.

[2] عدة الشيخ ولد جلول ، الأسس المذهبية للدولة المرابطية وأبعادها المالكية ، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 2،الإصدار 1، 2021 م، ص217.

[3] المرجع نفسه، ص 218.

فلربما هذا جميعه هو الذي جعل المذهب المالكي يمثل الوجه الآخر لمذهب السلف وعقيدتهم التي هي على الأرجح المذهب الذي تقبله أهل الصحراء لبساطته ووضوحه، وربما هذا الواقع هو الذي عناه ابن خلدون حين قال :« فالبداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة لأهل العراق، فكانوا لأهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي عندهم غضا، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع لغيره من المذاهب». وأن هذه الخصائص التي امتاز بها المذهب المالكي جعلت قبائل صنهاجة تميل إليه ، كونهم بدوا لا يتقبلون المذاهب الفكرية التي تميل إلى التعقيد والتأويل[1]. ومن هنا كان الصنهاجيون يميلون دائما إلى الأفكار التي تلائم حياتهم البدائية المتمثلة في زهد ضارب في البساطة، وورع صارم يتمثل في صرامة الأحكام وسد الذرائع، إلى جانب القدرة على التكيف مع الواقع ،وما يعرضه بين الحين والآخر من مشاكل تستدعي[2] إيجاد مقابل لها على مستوى الفقه المالكي، وهذا من دون نسيان ارتباط المشروع المرابطي بمجموعة من الفقهاء المالكيين ،أمثال أبي عمران الفاسي، ووجاج بن زلو اللّمطي، وعثمان بن مالك .

إلى جانب هذا التعلق الكبير للقبائل الصحراوية المرابطية بالمذهب الرسمي للدولة وممثليه، ترد إشارات هامة ضمن فتوى ابن رشد تؤكد حضور الوجه الآخر لعملية التعلق نفسه وهو الوجه السياسي، ففتوى ابن رشد تشير إلى أن الأموال المختلطة المشار إليها كانت تقدم منها الهدايا لأمير المسلمين، ناهيك عن أنّها تصرح كذلك بوجود أمير مرابطي على الصحراء وقبائلها، وهو الأمر الذي يؤكد أن المنطقة قد ظلت على تبعيتها القوية للسلطة المرابطية في مراكش ومذهبها الديني على الأقل حتى عهد علي بن يوسف بن تاشفين(500- 537ه) / (1102– 1142م)، ومهما كان دور هذه الملابسات في إبقاء

[1] حماه الله ولد سالم، حركة المرابطين بين العصبية والدعوة ، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط ، 2015م، (د ، ط) ، ص 53.

[2] عدة الشيخ ولد الجلول، المرجع السابق، ص 8.

المذهب المالكي اختيارا لإسلام الصحراويين وعلاقتهم بالمرابطين، فإن المستوى المعرفي يظّل الفيصل في ترسيخ المالكية بين طبقه الفقهاء المرابطين والدعاة الذين بعثوا مشروع الدعوة المرابطية ، ومهدوا للمذهب المالكي في الصحراء، لتتواصل عمليه حمل المذهب المالكي ونشرها فيما بعد، ليسيطر بالمغرب الأقصى وليس ذلك فحسب، بل إن المذهب المالكي قد انتصر في المغرب الإسلامي كله بفضل المرابطين وجهودهم المبذولة من أجل نشر رقعه التوحيد المذهبي في المنطقة وتوسيعها[1].

المبحث الثالث: أسباب نفوذ فقهاء المالكية في المجتمع المرابطي وأهم آثاره على المجتمع المرابطي.

I. أسباب نفوذ فقهاء المالكية في المجتمع المرابطي

بما أن دولة المرابطين قامت بجهود الفقهاء المالكية فقد كانت حقا دولة الفقهاء، وكان من الطبيعي أن يكون للفقهاء فيها نفوذا كبيرا، ومكانة عظيمة، كما أن التقدير والتكريم للفقهاء من جانب أمراء المسلمين زاد من مكانتهم ونفوذهم، فكان يوسف بن تاشفين محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء، مقربا لهم، صادرا عن رأيهم، مكرما لهم، وفقا للمبادئ التي قررّها عبد الله بن ياسين والتي تتضمن احترام وتبجيل الفقهاء والقضاة أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول، وكان يخرج بنفسه لزياره العلماء والفقهاء وتفقد أحوالهم وإكرامهم، كما فعل مع يلارزج(540هـ – 1146م)، أحد فقهاء المالكية بهسكورة، وأصبحت أمور المسلمين راجعة إليهم وأحكام صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم، فقد كان الفقهاء يستشارون في كل الأمور ولاسيما القرارات المهمّة المتعلّقة بتسيير شؤون الدولة[2] ، وكان على بن يوسف لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاوره الفقهاء، ولعلّ

[1] المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس، (د،ط) ،ج2، دار صادر بيروت ،1988م، ص10.

[2] ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ،ج1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء،(د ، ط)، 2000م ، ص 169.

ورع وزهد علي بن يوسف بن تاشفين هو الذي جعله يعظّم من شأن الفقهاء ويقرّبهم ويرجع إليهم في أموره ، فقد وصفه صاحب المعجب بقوله :« كان أن يعدّ في الزهاد والمتبتلين، أقرب منه إلى أن يعدّ في الملوك والمتغلّبين»[1] ، كما كان القضاة- وكانوا من جملة الفقهاء- يتمتّعون بنفوذ كبير، حيث منحوا سلطات واسعة إلى حدّ أنهم كانوا يعتبرون رقباء على الولاّة والعمال ومسؤولين على تصرفاتهم، كما ورد في إحدى رسائل علي بن يوسف لقاضي مالقة أبي محمد عبد الله بن أحمد بن عمر القيسي المالقي 542 (542هـ-1147م)، ومما جاء فيها:« وأيّ عامل من عمّال الرّعية قامت الشهادة عندك بتعدّيه، وعلمت بصحة استهدافه وتصدّيه، فأنه أمره إلى صاحب البلد مستعمله ومولّيه، وأشعره بما ثبت عندك فيه، فإن غلّ يد أذيّته وأنفذ عزله عن رعيّته، وإلاّ فأخف ذلك إلينا... ». وكان القاضي لا يقطع في أمر ولا يبت في حكمه، في صغير من الأمور ولا كبير إلاّ بمحضر أربعة من الفقهاء) [2].

من مظاهر نفوذ الفقهاء في دولة المرابطين[3]

أ. على المستوى السياسي

كان لفقهاء المغرب والأندلس دورا بارزا في الإنجازات التي قام بها المرابطون، فهم الذين أشاروا على أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين بالعبور إلى الأندلس[4]، والإستجابة لصريخ ملوك الطوائف، وهم الذين أفتوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بضرورة الإستيلاء على الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف، ولّما طلب يوسف بن تاشفين من صاحب سبتة أن يخلّي الجيوش تمّر إلى الأندلس لنجدة المسلمين وأبى ذلك

[1] حسن علي حسن ، المرجع السابق، ص336.

[2] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ج7، دار صادر، بيروت 1970، ص 125.

[3] حسن علي حسن ، المرجع نفسه ، ص162.

[4] محمد عبده حتاملة ، موسوعة الديار الأندلسية، ط2 ،المكتبة الوطنية ، الأردن ،199 9 م، ص145.

صاحب سبتة، شكاه يوسف بن تاشفين إلى الفقهاء فأتوا جميعا صاحب سبتة بما لا يسره، و بفضل نصائح الفقهاء أوقف المرابطون التقدّم النّصراني بانتصارهم في عده معارك حاسمة كالزلاقة(479هـ - 1186م)، وإقليش(501هـ-1108م)، وإفراغة(528هـ - 1134م)، فكانت هذه الإنتصارات سببا في ثبات جبهة الأندلس بعد أن أوشكت على الإنهيار في عصر الطوائف الأول، وبمشورة الفقهاء عيّن يوسف بن تاشفين ولده عليّا وليّا للعهد، وبعد أن أخضع يوسف بن تاشفين الأندلس عسكريا أخبره فقهاء الأندلس أن طاعته غير واجبة حتى يأتيه التقليد من الخليفة العباسي المستظهر بالله فعمل على ذلك، وهم الذين أشاروا على عليّ بن يوسف بتقليد ولاية العهد لابنه أبو محمد سير، وأشار عليه القاضي أبو الوليد بن رشد بإجلاء المعاهدين من أهل الذمة من الأندلس لما كثرت خيانتهم فقبل علي بن يوسف مشورته وأمر باستقدامهم[1] ، وكذلك عمل بنصيحته في تسوير مراكش ، وفي عزله لأخيه تميم عن نيابته في الأندلس.

ب.المستوى الإجتماعي

كنتيجة لذلك تصدر الفقهاء الهرم الاجتماعي باعتبارهم المفتين بشرعية سياسة أمراء المرابطين وتوجيهاتهم، وصارت سمية الفقية جليلة ، حتّى أنّ الملثّمين كانوا يسمّون الأمير العظيم منهم بالفقيه، وأصبح الفقهاء ذو جاه عريض ومال جزيل فانصرفت وجوه النّاس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم واتّسعت مكاسبهم ،لا سيما من تقرّب منهم من السلطان كما حدث مع الفقيه أبو بكر بن خلف الأنصاري (599هـ-1202م)، الذي حظي بخدمة السلطان بمراكش، فنال دنيا عريضة[2]، وحصّل أموالا جليلة، حتّى صار بعضهم يستقبل استقبال الملوك والأمراء، فعندما دخل القاضي عياض غرناطة خرج

[1] حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية ، مصر،(د ، ط) ،1997م ، ص 250.

[2] عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،اعتنى به صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية، بيروت ، ط1، 2006م ، ص130.

إليه أعيان البلد لاستقباله وهم يزيدون على مئتي راكب، وغضب أمير المسلمين علي بن يوسف بن عامله على مرسيّة وهو الزبير بن عمر وأرسل إليه يلومه لمّا لم يستقبل الفقيه أبا بكر بن الأسود بحفاوة ،[1] زيادة على الجاه اكتسب كثير من الفقهاء أموالا طائلة بفضل تحالفهم مع النظام المرابطي، فقد أجرى عليهم يوسف بن تاشفين الأرزاق من بيت المال طول أيامه ، فضلا عمّا حازوه من هبات وإنعامات ،[2] كما كان المرابطون يوزعون خمس الغنائم على الفقهاء والعلماء ،واستغل فريق ممّن تقلّدوا القضاء من ضعفاء النفوس نفوذهم لمآرب دنيوية فجمعوا الأموال من الحلال والحرام، حتّى وصفهم الشاعر أبو جعفر أحمد بن محمد المعروف بابن البنّي معرضا بقاضي قرطبة أبو عبد الله محمّد بن حمدين بقوله:

أهل الرّياء لبستمو ناموسكم كالذّئب أدلج في الظّلام العاتم

فملكتم الدّنيا بمذهب مالك وقسمتم الأموال بابن القاسم

وركبتم شهب الدّواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم

ولا يمكن تعميم لهذا الحكم على جميع الفقهاء، بل هو خاص ببعضهم ممّن كان همّه جمع المال ومتاع الدّنيا، فسعى إلى ذلك عن طريق الوصول للمناصب الدينيّة من أمثال مناصب القضاة والفتيا والحسبة[3].

ج. على المستوى الفكري

أمّا على الصعيد الفكري فقد راجت كتب فروع المذهب المالكي رواجا كبيرا، من أمثال مدوّنة سحنون ، وجامع ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد، واوضحة ابن حبيب، وساد

[1] محمد محمود ، الأثر السياسي للعلماء في عهد المرابطين، أطروحة ماجيستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ، (د، ط) ،1997 م ، ص 143.

[2] حسين مؤنس ،سبع وثائق جديده عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع القاهرة، ط 1 ، 2000م، ص 25.

[3] ابراهيم القادري بوتشيش، المرجع السابق، ص 144.

المذهب المالكي في المغرب الأقصى والأندلس حتى عند الدول اللاحقة، وحتى غرب المغرب الأوسط الذي كان خاضعا للمرابطين، يقول البكري عن تلمسان أنها: « لم تزل دارا للعلماء والمحدّثين وحملة الرّأي على مذهب مالك» .[1] واستطاع الفقهاء أن يضيّقوا على المذاهب المنحرفة التي كانت سببا في الإضطرابات والفتن وأن يؤسسوا لوحدة مذهبية مبنية على المذهب المالكي السنّي، كما أن الفقهاء حرّموا دراسة علم الكلام والفلسفة ، وأفتى الفقهاء وعلى رأسهم ابن حمدين أمير المسلمين عليّ بن يوسف بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، لما يحتويه من اتجاه فلسفي وصوفي ولما اشتمل عليه من أحاديث ضعيفة وموضوعة، زيادة على ما فيه من دعوة إلى التصوّف والعزلة التي تنافي ما كانت تتطلّبه الظروف آنذاك من الإستعداد للجهاد ضد المدّ الصليبي، وانصرف المرابطون في معظم أيّام دولتهم إلى تشجيع الفقهاء حملة لواء المذهب المالكي، وكان عصر المرابطين عصر فقهاء أكثر منه عصر أدباء وفلاسفة ، ولطبيعة المرابطين الصحراوية، وعقيدتهم الدّينية البسيطة فقد ابتعدوا عن رجال الفلسفة ولم يحفلوا بهم ، غير أنهم لم يضطهدوهم أو ينكّلوا بهم،[2] كما حدث مع غيرهم من الدّول .

II. مظاهر الالتزام بتعاليم الدعوة الدينية المالكية وأثرها في الدولة والمجتمع المرابطي

من خلال تتبعنا لطبيعة الحكم المرابطي ولمميزاته عبر مختلف مراحله، يتبيّن لنا مدى حرص الأمراء المرابطين ومن ورائهم الفقهاء والعلماء وفئات المجتمع المرابطي على التمسك بالكتاب والسنه وبتعاليم مذهب الإمام مالك، في جميع أمور عباداتهم ومعاملاتهم وكانت آثار هذه الحياه ظاهرة من خلال ما يلي:

[1] محمد محمود ، المرجع السابق ، ص142.

[2] ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت،(د، ط)، (د، ت) ، ص 143.

1. التشدد في تطبيق أحكام الدين

من بين الأشياء الجلية في ظّل حكم الدولة المرابطية، هو حرص ولاة الأمور فيها على تطبيق أحكام الدين وتنفيذ تعاليمه بين أفراد المجتمع، وإقامة الشعائر الدينية من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك من العبادات والفرائض، وكان ذلك استجابة لطبيعة دعوة عبد الله بن ياسين ونظام الدولة القائم على دعوة دينية، فقد كان الطريق الذي التزمه ابن ياسين والأمراء المرابطين من بعده، هو متابعة تنفيذ أحكام الدين، وأخذ المتخلفين بالعقاب الذي قد يصل إلى حد القتل، وقد اتخذ ابن ياسين منهجا متشددا في قبول المنظمين إلى دعوته من أبناء القبائل المختلفة، لذا كان لابد من إسلام جديد للعضو المنظم[1].

وكي يتم هذا الإسلام الجديد لابد أن يتطهر من ذنوبه السابقة، وذلك بافتراض أنه ارتكبها، فيقام عليه حد الزّنا وحد السرقة وحد شارب الخمر والإفتراء، وإذا اعترف بأنه قتل[2] أحدا فإنه يقتل، فإذا ما طهر من ذنوبه أصبح صالحا للانضمام للدعوة الجديدة، وعلّم قواعد الدين والإسلام الصحيح ، ولا شك أن هذا المسلك فيه الكثير من التعنت من ابن ياسين، يعتقد أنه لم يسبقه فيه أحد من الفقهاء، وربما كان يهدف من ورائه إلى سبر مدى صلاحية أتباعه في تحمل مشقات الدعوة، فإذا ما تحمل العضو الجديد التعذيب كان قادرا على تحمل أعباء الدعوة والجهاد في سبيل الله الذي هو ركن من أركان دعوة عبد الله بن ياسين، وإذا حاولنا أن نتبيّن مدى اهتمام ابن ياسين بمختلف الشعائر والعبادات، لوجدنا أن إقامة الصلاة وتأديتها تحتل ركنا أساسيا في اهتمامه بكونها الركن الأول من أركان العبادة بعد الشهادتين ، لذا كان ابن ياسين يلزم أتباعه بالمواظبة على الصلاة وتأديتها مع الجماعة، ومن تخلف عنها ضرب عشرون سوطا، وربما كان ذلك لجهلهم بأركان الصلاة ،وكذلك فعل مع باقي الفرائض والعبادات ومنها الزكاة ،حيث بيّن

[1] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 80.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق ، ص 16.

لأتباعه مقاديرها وشروطها وفق ما حدده الشرع ،وقضى على كلّ ما كان موجودا من المغارم والضرائب والمكوس المخالفة لأحكام الدين[1].

وإلى جانب هذه الجهود التي بذلها ابن ياسين وأتباعه من الأمراء المرابطين في دفع النّاس إلى الالتزام بأحكام الدين وتأدية فرائضه، فإنهم لم يدّخوار أدنى جهدا في محاربة المنكرات التي تظهر بوادرها في المجتمع ، ومن ذلك محاربة الخمر وإقامة الحدّ على شاربها ، وردع الزّنا والسرقات ، وإقامة الحدود في حق مرتكبيها، والقضاء على البدع والضلالات ، والتصدي لأصحابها ومعاقبتهم، مثلما وقع مع بدعة برغواطة ،وعليه عاش المجتمع في ظّل الدولة المرابطية محافظا على تأدية الفروض الدينية، وملتزما بأحكام الشرع ، ومن تهاون أو تكاسل في تأديتها فإنه يتلقى الردّ المستحق من ولاة الأمور الذين يعودون به إلى الطريق السليم و القويم[2].

2. الاعتماد على العلماء والفقهاء في إدارة شؤون الدولة

كان ممّا ميّز أوضاع الحكم في دولة المرابطين هو احتلال العلماء والفقهاء منزلة رفيعة، وسيطرتهم على مجريات الأمور، ومردّ ذلك هذه الدولة التي قامت على أساس ديني مستلهم من الدعوة الإصلاحية التي قادها عبد الله بن ياسين في صحراء المرابطين والقادة الأوائل للدولة الذين تربوا في رباطه، حيث درسوا أسس الدين الصحيحة ومبادئه القويمة ، ومن هنا كان المبدأ الديني هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في سياستها ، ومن ثم فإن القائمين بشؤون الدين والمتشغلين بعلومه قد احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع المرابطي ، إضافة إلى ذلك فإن تكريم أمراء الدولة وتقديرهم قد زاد من مكانتهم ونفوذهم ، فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان محبا للعلماء معظما لمكانتهم[3].

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق ، ص 17.

[2] البكري، المصدر السابق ، ص 169.

[3] ابن عذارى، المصدر نفسه ، ص 46.

إذ يقول ابن أبي زرع موضحا ذلك: « وكان أي يوسف ابن تاشفين محبا للعلماء والفقهاء الصلحاء ، مقربا لهم صادرا عن رأيهم متكرما لهم » [1].

ومن أمثلة ذلك ، الدور الذي لعبه المرابطون في الاستيلاء على الأندلس، فقهاؤها هم الذين كاتبوا الأمير يوسف بن تاشفين ، ورغبوه في المجيء إلى الأندلس لتخليصهم من ظلم ملوكهم الفاسدين ، ولم يشرع الأمير يوسف في تنفيذ خطة القضاء على ملوك الطوائف حتى استفتى الفقهاء والعلماء في الأمر، وبعد إخضاعه للأندلس عسكريا أخبره ، العلماء فيها بأن طاعته غير واجبة حتى يأتيه التأييد من الخليفة العباسي ببغداد، فعمل بنصيحتهم وبايع الخليفة العباسي أحمد المستظهر بالله(487- 512هـ) / (1094-1112م)، ودخل في طاعته وخدمة دولته ، خاصة في صراعها مع أعدائها من الشيعة الفاطميين الذين أخذوا بعد نقل دولتهم من المغرب إلى مصر، يتطلعون نحو بلاد الشام والحجاز بعد، وبذلك يكون الأمير يوسف بن تاشفين ومن ورائه خلفائه من الأمراء المرابطين ، قد تحاشوا لقب الخلافة لأنهم كانوا يرونه من اختصاص الخليفة العباسي، فأحجموا على هذا اللقب واكتفى أمراؤهم بلقب أمير المسلمين .

ولم يكن التكريم والترحيب قاصرا على علماء المغرب فقط ،بل رحب الأمير يوسف بكل العلماء وخاصة علماء الأندلس الذين سرعوا إلى عاصمة المرابطين مراكش ليكونوا في ظّل أمير المسلمين ورعايته[2]، يقول صاحب المعجب : « فانقطع إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم» ، وكذلك صار ابنه علي بن يوسف على نفس السياسة، فكان محبا للعلماء والفقهاء مكرما لهم[3].

---

[1] ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 88.

[2] ابن الخطيب ،الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تصحيح البشير الفورتي ، ط1، مطبعة التقدم الاسلامية ، تونس، (د، ت) ، ص 29.

[3] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 162.

يقول المراكشي: « واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين »، وكان يخرج بنفسه لزيارة العلماء وتكريمهم ،ومن ذلك خروجه لزيارة – ابن بلارزج – أحد علماء المالكية، وكان عبدا صالحا ومات بهسكورة سنة(584ه/1145م) [1] .

وفي عهد ابنه الأمير علي أصبح للفقهاء والعلماء تدخل في كل شؤون الدولة وفق قول المراكشي: « واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء » ، وكان القضاة لا يصدرون أحكامهم إلا بمشورة أربعة من الفقهاء ، ومن ثمّ صارت لهم مكانة ونفوذ في المجتمع[2] .

و الفقهاء هم الذين أشاروا على الأمير علي بن يوسف بحرق كتاب الإحياء للغزالي، وذلك حين أحسّوا منه النيل من مكانتهم ومنزلتهم السياسية، كما اتخذ المرابطين الفقهاء للتهذيب بينهم[3] ، ويذكر ابن خلدون ذلك في قوله:« فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لأحكام كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء في فروض أعيانهم، واقتناء الأئمة للصلاة في بواديهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم».[4] وهكذا أصبح الفقهاء والعلماء طبقة مرهوبة الجانب ،مسموعة الكلمة، وكانت منزلتهم و ما وصلوا إليه من سيطرة على مقاليد الأمور عاملا من العوامل التي دعت ابن تومرت لمهاجمتهم في دعوته، ورماهم بالجمود والتمسك الزائد بالفروع وتركهم الأصول[5].

[1] عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق ، ص 171.

[2] المصدر نفسه ، ص 172.

[3] المصدر نفسه ، ص 173.

[4] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 208.

[5] حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 336.

3. شغف المرابطين بالعلم والتفقه في الدين

باعتبار الطابع الديني الذي تميز به حكم دولة المرابطين، وسيطرة الفقهاء على دواليب الحكم ودوائر النفوذ فيها، فقد عكف الكثير من العلماء في عصر المرابطين على دراسة علوم الدين من فقه وحديث وتفسير، وعلى الزهد والتقشف والورع ، وقد ذكر القاضي عياض منهم الشيخ لمتاد بن نصير اللمتوني ، الذي بلغ منزلة كبيرة في علمه حتى أن المثل كان يضرب بفتواه في بلاد الصحراء وتعظيم أمرها[1].

ومنهم أيضا أبو عبد الملك مروان اللموتني، وأحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري ، والفقيه أبو القاسم بن عذرا ، وأخوه سليمان بن عذرا الجزولي، وكان قد توليا أمور المرابطين الدينية[2] بعد وفاة الشيخ عبد الله بن ياسين ، والفقيه أبو الحسن أحمد بن أحمد بن محمد الأزدي وابنه أحمد المعروف بابن القصير، وكان بعضها الأمراء الذين لا تمكنهم الظروف من التعلم يرسلون في طلب أعلام الفقهاء والعلماء إلى قصورهم ، فيجلسون إليهم ويأخذون العلم عنهم ويتفقهون في الدين على أيديهم، فكان الأمير إبراهيم بن يوسف ابن تاشفين يرسل في طلب الشيخ الفقيه الجليل علي الصدفي ليسمع عليه الحديث وينتفع بعلمه وفضله ، واتصل به الفتح بن خاقان الكاتب المشهور،و باسمه طرز كتاب قلائد العقيان ،[3] كما كان الأمير علي بن يوسف يرسل أبناءه إلى الأندلس، لتلقي العلم، ويتشدد في تعليمهم ،ويظهر ذلك من الرسالة التي أرسلها إلى ابنه أبي بكر الذي كان يقوم على رعايته وتأديبه الطبيب الأندلسي المشهور أبو مروان بن زهر، وعلى ما يبدو أن الأمير أبا بكر لم يكن مكبا على الدرس، منصرفا إلى التحصيل، مما دعى والده إلى تقريعه، ونهيه في الرسالة التي قال فيها:« كتابنا ألهمك الله رشد نفسك، ومن حضره

---

[1] عياض بن موسى السبتي، ت(544ه) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1983م، ص 80.

[2] ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، ط 1، دار الكتاب العلميه، بيروت، 1996 م ، ص 423 .

[3] ابن خلكان، المصدر السابق ، ص 193 .

مراكش بعد وصول الوزير الجليل أبي مروان بن الوزير أبي العلاء بن زهر، محل أبينا يشكو ما يكابده ويقاسيه من تضريبك، فأمسك عليك رمقك ، وخذ من الأمور ما يسر، وإلا أنفذناك إلى ما يورقة » . [1]

4- التعصب الكبير للمالكية

بلغ التقيد بمذهب الإمام مالك واتّباع أقواله وأقوال المالكية مبلغا في عهد المرابطين، حتى أفضى ذلك بهم إلى التعصب وتحريم أي مذهب غير المذهب المالكي وتحول الأمر من مرحلة التنظير بين العلماء إلى مرحلة التطبيق، فنجد مثلا أن الأمير علي بن يوسف[2] لم يقرب منه سوى من كان عنده علم بفروع مذهب مالك ، فازدهرت في عهده كتب المذهب ونبذ ما سواها، وأحرقت كتب أخرى اعتبرت خروجا عن المذهب المالكي المعتدل ككتب الغزالي ، ونسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما كان ذلك بدافع حماية مكانتهم ومكتسباتهم، وسعيا في المحافظة على الوحدة والتماسك في دولتهم ، وتدعيم مذهبهم الرسمي الذي اختاروه منهجا لتسيير شؤون دولتهم ورعيتهم ، كما تعرض أهل الظاهر في عهده للاضطهاد لرفضهم الاعتماد على مذهب الإمام مالك ، ودعوتهم للاجتهاد واستنباط الأحكام من القرآن والسنة ، ومن هؤلاء نجد الفقيه محمد بن أحمد بن يحيى الأنصاري الخزرجي الميورقي الأصل الذي ضرب بالسوط بأمر من الأمير علي بن يوسف بعد أن امتحنه ، فسجنه زمنا ثم سرّحه، فعاد إلى الأندلس، وفي عهد ابنه تاشفين الذي تابع سياسة أبيه ، نجده يرسل كتابا إلى واليه في بلنسية، أبي زكريا يحيى بن غانية وقاضيها وسائر الفقهاء والوزراء فيها، يدعوهم فيه إلى

[1] محمود علي مكي ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، معهد الدراسات الإسلامية، بمدريد مجلد 8/7 ، سنة 1958 -1960 ، ص 117-118 .

[2] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 151 .

الاقتصار في الأحكام والفتوى والشورى على مذهب مالك بن أنس، ومن يعمل بغير ذلك فقد اتبع الهوى[1].

وعليه يمكننا القول، بأن الأمراء المرابطين قد حرصوا أيما مع حرص على التمسك بتعاليم الدعوة الدينية المالكية ومبادئها، التي بثها فيهم ، داعيتهم الأول الفقيه عبد الله بن ياسين ، بعد أن رأوا فيها حفاظا على وحدة رعيتهم ، وتماسك دولتهم ، وقوة لملكهم وسلطانهم[2].

[1] ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص 191-192.

[2] الونشريسي عبد الواحد ، ت(914هـ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ،1981م ، ص 341.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:موقف المالكية من توسعات المرابطين

بدأت دعوة المرابطين بالظهور في بلاد المغرب، في أوائل القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ،على يد رجال تحدوهم نزعة إصلاحيــة، ولحسن بلائهم في المعارك، عرفوا بالملثّمين، وشملت حدودها الجغرافيَّة بلاد المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي والأندلس.

ومؤسسي دولة المرابطين ، هم علماء درسوا العلم في القيروان وقرطبة ، فنهلوا منها العلوم التي كانت سائدة فيها وكانت قلاعا من قلاع المالكية منذ أمد. حيث كان لهم الأثر في التوسع في المغرب الأوسط والصحراء والأندلس.

المبحث الأول:المرحلة الصحراوية

نظرا للتراكمات السياسية و الدينية و العسكرية، راهن الفقهاء على إبقاء رابطة بينهم وبين السلطة الحاكمة ، و سعوا باستمرار لتركيز نفوذهم في أوساط العامة ، التي أضحت ترى فيهم حراسا أمناء على مصالحها، وممثلين شرعيين لها.[1]

ومنه سنتعرض إلى جغرافية المرحلة الصحراوية، و تأسيس الدعوة وتحليل المرحلة الصحراوية.

❖ جغرافية المرحلة الصحراوية :

- **برغواطة** : تأسست دولة برغواطة في إقليم تامسنا، وهي أرض تقع بين الرباط والمحمدية حاليا ومعظم سكانها زنادقة، وتضاريسها تتنوع بين الجبال والسهول ممّا أعطى لها حماية من الغزو واعتمادهم على الزراعة، و كون برغواطة أحلاف قبلية كثيرة العدد ضدّ التعريب الذي جاء به الخوارج أثناء حكم بنو أمية ، وعين الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بن الحبحاب بولاية السوس وتامسنا إلى ابنه إسماعيل مما أدى إلى ظهور ثورات مهدت لفكر مذهب الخوارج ، بحيث كان المذهب الإباضي في المغرب الأوسط و المتطرف في القسم الجنوبي للمغرب الأقصى[2] .
- **سجلماسة:** بنيت سنة(140 هـ) ، وهي مدينة سهلية أرضها خصبة وبها مباني كبيرة ولها بساتين كثيرة ، محاطة بسور من الحجارة ولها 12 بابا[3]. وأهلها يأكلون الكلاب وبين سجلماسة ووادي درعة مسيره خمسه أيام ، وولى

---

[1] لخضر بولطيف، الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ط1، 2005م ، ص 39.

[2] البكري ، الممالك و المسالك ،حققه ووضع فهارسه د.جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، ص 318.

[3] المصدر نفسه ، ص 332.

عليهم العديد قبل المرابطين ، وكانوا يهينون في التعامل مع البربر واستمر الصراع في عديد من المرات إلى أن قتل أهل سجلماسة الشيعي إبراهيم بن غالب المزاتي[1].

- **مدينة أغمات:** وهي عبارة عن مدينتان سهليتان، إحداهما تسمى أغمات ايلان والأخرى أغمات وريكة، ولا يسكنها غريب وبينهم ثمانية أميال وعدّهما المقدسي من توابع قاعدة السوس و يسكنها قبائل بربر صنهاجة ومصمودة وهوارة.
- **مدينه درعا:** يقال لها تيومتين ، وهي قاعدة درعا وقريبة من جبل درن
- **لمتونة** : قبيلة صحراوية وبلادهم في القبلة مسيرة 6 أشهر ولا علم لهم بأمور الزرع والحرث والصناعة ، ويعتمدون في غذائهم على اللّحم واللّبن ولا يستقرون بمكان بل يرتحلون من مكان لآخر[2]. ويقول ابن خلدون: «اتخذوا اللّثام خطاما ما تميزوا به وعد اللثام الذي يلبسونه شعارا يميزهم عن بقية القبائل الصحراوية الأخرى »[3].

❖ التأسيس لدعوة المرابطين في الصحراء

بعد عودة زعيم قبيلة صنهاجة يحي بن إبراهيم الكدالي من رحلته لأداء فريضة الحج في حدود سنة(427هـ/ 1035م)، مرَّ بمدينة القيروان والتقى بها أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي، فتابع دروسه وطلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذًا يُفقههم في الدِّين[4].

فلم يقبل أي من تلاميذه المهمة، فبعث رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة، هو وجاج بن زلو اللَّمطي، فانتدب له وجاج تلميذًا تقيًا من تلاميذه ،هو عبد الله بن ياسين

[1] البكري، المصدر السابق ، ص 333.

[1] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 206.

[3] المصدر نفسه، ص 202.

[4] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص122 .

الجزولي، فبدأت بذلك رحلة الفقيه عبد الله بن ياسين في مضارب قبائل صنهاجة الصحراء.

فخرجوا إلى بلاد كدالة ولمتونة فاستقبلتهم قبائلها بكل سرور، وبدأ يعلمهم تعاليم الدين الصحيحة وفقا للمذهب المالكي، ونذكر منها أنهم كانوا يتزوجون بأكثر من أربع نساء فبيّن لهم أن الدين يحدد أربع نساء فقط ،فامتثلوا إلى حكم الشرع في ذلك وفارقوا النساء الخمس الأخريات ولهم أن يتمتعوا بما ملكت أيمانهم ،وتسامع الناس أخبارهم وانضم أكثر من 1000 رجل من أشراف صنهاجة و قال لهم يا:" معشر المرابطين إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأموروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهد في سبيل الله حق جهاده "، فقالوا له امرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين، ولو أمرتنا بقتل أبائنا لفعلنا ذلك[1].

وبعدها انطلق فعليا للجهاد بالوعد والإرشاد ، وكل من لم ينتهي فبالسيف ، ولما رأى شدة طغيانهم وعدم أخذ الوعد على محمل الجد فبدأ بجهاد قبيلة كدالة فغزاهم بثلاثة ألاف رجل من المرابطين، فانهزموا وقتل الكثير منهم وأسلم الباقون وحسن إسلامهم ، ثم توجه بعد ذلك إلى قبائل لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى أطاعوه وبايعوه، ثم سار إلى قبائل مسوفة فغزاهم وبايعوه ، وبعد كل هاته النجاحات سمعت قبائل صنهاجة ولمتونهوأسرعوا إلى مبايعته بالسمع والطاعة فكان كل من أقبل إليهم يقيم عليهم الحد ثم يعلمهم تعاليم الدين، وأنشأ بيت مال يجمع فيه الزكاة والعشر وبدأ بشراء السلاح وغزو كافة القبائل، وأصبحوا تابعين للمرابطين واشتهر في جميع بلاد القبلة وبلاد الصامدة وسائر بلاد المغرب[2].

---

[1] أحمد مختار العبادي ، تاريخ المغرب والأندلس ، د (ط ، ت) ، بيروت، دار النهضة العربية ، ص27.

[2] ابن أبي الدينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق :محمد شمام، ط1 ، تونس ، 1967م ، ص101.

وبعدها توفي يحيى بن إبراهيم الكدالي ، وعين يحيى بن عمر وأمره بالنظر في أمر الحروب ،واكتفى عبد الله بن ياسين بالنظر في ديانتهم وأحكامهم ويأخذ زكاتهم أعشارهم، فاستولى الأمير يحيى على جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح الكثير منها وفي سنة(447 هـ)، اجتمع فقهاء سجلماسة وفقهاء درعا وصلحائهم، فكتبوا إلى الفقيه عبد الله بن ياسين وإلى يحيى ابن عمر بأن يخرج معهم للجهاد، فخرجوا معه في يوم الأحد 21 ماي 1055 م في جيش عظيم ، حتى وصلوا بلاد درعا فوجد بها عامل أمير سجلماسة وأخرجه منها، ووجد عندهم 50 ألف ناقة لصاحبها مسعود الغراوي فأخذها ونشبت بينهم حروب عظيمة كان النصر للمرابطين ، وبعدها انطلق إلى مدينة سجلماسة وبقي فيها حتى امتثلوا إلى تعاليم الدين ، وفق المذهب المالكي وولى عليهم عاملا من لمتونة وتفرغ لباقي الصحراء[1].

توفي الأمير يحيى بن عمر وخلفه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتوني، فتوجه بجيش المرابطين إلى غزو بلاد الصامدة وبلاد السوس، فخرج إليها في جيوش عظيمة وذلك في ربيع الثاني من سنة(448هـ)، وغزا بلاد جزولة وفتح مدينة ماسة ومدينة رودانا وجميع بلاد السوس[2].

ووجد الروافض ومنهم عبيد الله الشيعي فقاتلهم حتى فتح مدينتهم وألزمهم الزكاة والعشر، وتوجه إلى بلاد الصامدة ففتح جبل درن وبلاد روضة وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ، ثم فتح بلاد فيس وسائر بلاد كدميوهة وأتاه قبائل رجراجة وحاحا، فبايعوه وارتحل إلى مدينة أغمات ودخلوها فاتحين، ثم توجهوا إلى غزو جدالة[3]؛ ففتحوها وكانوا يعتنقون المجوسية

[1] البكري، المصدر السابق، ص 126-127.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق ، ص 333.

[3] ابن أبي الدينار ، المصدر السابق، ص108.

وبها قبائل براغواطة، فأمرهم عبد الله بن ياسين بغزوهم وكانت حرب شديدة مات فيها العديد من الطرفين[1].

❖تحليل أثر الفقهاء من التوسع المرابطي في المرحلة الصحراوية

يبرز دور الفقيه عبد الله بن ياسين بكل وضوح في هذه المرحلة ، فبداية توسع الحركة لا تزال في الواقع غامضة وتتضارب في شأنها المصادر، وهذه المصادر تشير أحيانا إلى الدور الذي لعبه فقهاء آخرون في بعض الأحداث ، لكن هذه الإشارات تبقى كثيرة الغموض، ولا تمكننا من تبيّن ملامح هذا الدور. لذلك لا يمكن أن نقتصر على تتبع أعمال عبد الله بن ياسين.

وتتبع الخطوات الأولى للحركة يبيّن لنا حصول تحولات في هذا العمل، وبإمكاننا أن نقول أن نجاح عمليات الغزو الأولى كانت تغير شيئا فشيئا من حقائق الأمور، لتجعل عبد الله بن ياسين أمام مشاكل جديدة هي مشاكل الإنتصارات والتسيير.

وللتثبت ، نجد أن المصادر في الواقع لا تمكننا من الوقوف ، بكل وضوح على فحوى دعوة عبد الله بن ياسين بين القبائل الصحراوية . فهي تكتفي عادة بتعداد جملة من النقاط العامة، يُمثل أغلبها توجيهات تقليدية مألوفة . ففي الخطاب الذي توجه به إلى أتباعه الذين قرر إرسالهم إلى القبائل ، قال عبد الله بن ياسين – حسب النص الذي يورده ابن أبي زرع – توفي سنة (750 أو 720 هـ) ، «أخرجوا على بركة الله وانذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته ، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا ممّا هم عليه ، فخلوا سبيلهم ؛ وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيّهم ولجّوا في طغيانهم، استعنا بالله تعالى

[1] محمد علي الصلابي، تاريخ الدولتين المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة، بيروت،2011م ، ص63.

عليهم ، وجاهدناهم حتى يحكم الله فينا وهو خير الحاكمين »[1]. فهي دعوة إلى خوف الله والتوبة ، والرجوع إليه، وهي عبارات غامضة ، لا تعكس محتوى القبائل، والجواب نتساءل عما كان مطلوب من هذه على ذلك صعب في الواقع، لكن بإمكاننا اعتمادا على ما لقنه عبد الله ابن ياسين لا تباعه حسب النص الذي يقدمه ابن ابي زرع ، أنّ عبد الله بن ياسين كان يطالبهم باتباع السنة ، والقيام بالواجبات الدينية من صلاة وزكاة وغير ذلك. كما أنه قد يكون طالبهم بارضاخ بعض عاداتهم إلى القوانين الشرعية، كما فعل ليحي بن إبراهيم بالنسبة للنسوة اللائي من تحته.

لكن نجد بعض الإشارات الأخرى الدالة على أنّه كانت لعبد الله بن ياسين مطالب من نوع آخر ، فالبكري توفي سنة(487 هـ)، و ابن عذاري حي سنة (712 هـ)[2]. يوضحان بأن عبد الله بن ياسين نهض بعد أن استقر عند لمتونة وغزا عددا من القبائل إلى قبيلة لمطة ، فطالب أفرادها بثلث أموالهم ليحل لهم الباقي[3]؛ كما يعلمنا ابن أبي زرع توفي سنة(710 أو 720 هـ) ، أنه بعد أن غزا عبد الله بن ياسين قبائل قدالة ولمتونة ومسوفة ، «سارعت القبائل الأخرى إلى مبايعته وأقرّوا له بالسمع والطاعة » [4]. وهذه الإشارات تعكس في الواقع نوعا آخر من المطالب منها المالية ، ومنها السياسية الداعية إلى مبايعته ، غير أنها لا تمكننا من معرفة ما إذا كانت هذه المطالب مطروحة منذ البداية في برنامج عبد الله بن ياسين [5].

و عند تحليلنا للروايات التي تقدمها المصادر يجعلنا نواجه من جديد نظرتين مختلفتين، فابن عذاري يرى أن اعتماد عبد الله بن ياسين كان كليا على قبيلة لمتونة التي استقر

[1] ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص125.

[2] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 125.

[3] المصدر نفسه ، ص 126.

[4] ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص 10.

[5] المصدر نفسه ، ص11.

عندها ، مما يجعلنا نتساءل عن الكيفية التي نظّم بها عبد الله بن ياسين العلاقة بينه وبين شيخ هذه القبيلة يحى بن عمر ، ونحن لا نملك في الواقع أية معلومات حول هذا الموضوع سوى ما كان يظهره يحي بن عمر من طاعة وانقياد لعبد الله بن ياسين[1].

وهو ما يوّلد أنا ابن أبي زرع ، فإنّه يقدم لنا الأحداث بشكل آخر ، فهو يرى أن الملتحقين برباط عبد الله ابن ياسين كانوا ينتمون إلى قبائل مختلفة ، وأنه بعد وفاة يحي بن إبراهيم الذي كان مصاحبا لابن ياسين ، قدم هذا الأخير يحي بن عمر ، شيخ لمتونة لقيادة الحركة عسكريا [2].

وفي نظرة مغايرة تماما إلى الأمور، يجعل يحي بن عمر مدينا في داخل الحركة لعبد الله بن ياسين ، ولأنه اختاره لجملة من الخصال التي كان يتمتع بها ، فقد كان بإمكانه أن يختار غيره ، لكن رغم ذلك، فإنّنا نعتقد في وجود عدد من المؤشرات الدالة على أن العلاقة بين الشخصين ربما كانت أكثر تعقيدا.

وعليه نرى أن عبد الله بن ياسين كان يعمل على خلق سلطة سياسية وأنه توخى لتحقيق ذلك أسلوبا تظهر فيه السلطة السياسية الإنقيادية للسلطة الدينية – التي يمثلها – في حين أن هذه الأخيرة في الواقع تعتمد على تدعيم السلطة السياسية وإرساء نفوذها .

المبحث الثاني:المرحلة المغربية

تحولت أنظار المرابطين نحو الشمال حتى وصلت إلى بحر الروم وتجاوزته ، وقد تمّ ذلك بسلسلة من العمليات وبخطوات متلاحقة كل واحدة منها تدفع إلى ما بعدها، وقد تحمل سببا أو أسباباً عديدة لها.

[1] ابن أبي الدينار ، المصدر السابق ، ص10.

[2] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص15.

و عليه سنتعرض إلى جغرافية المرحلة المغربية في العنصر الأول، و تأسيس الدعوة في العنصر الثاني وتحليل المرحلة في العنصر الثالث.

❖ جغرافية المرحلة المغربية

- **مدينة فاس:** مدينتان مقترنتان مسوّرتان بينهما نهر وبالمدينتين أزيد من ثلاث مائة رحى وفيهما نحو عشرين حمّاما. وهي أكثر بلاد المغرب يهودا وكلتا عدوتي فاس في سفح جبل والنهر الّذي بينهما مخرجه من عين غزيرة على مسيرة نصف يوم من فاس[1].

ومن سجلماسة إلى مدينة فاس موضع يقال له أرفود جبل موت لا عمارة حوله. ومنه إلى موضع يقال له الأحساء رمل، يحفر فيه فينبعث الماء على ذراع ونحوه في بلد زناتة مرحلة. ومنه إلى حصن يرارة مرحلة، عامر آهل، به سوق وجامع وله جدول ماء، وهو بلد يحسن فيه الغنم، ويقال إنّ أصول[2].

- **مدينة سبتة:** وهي على ضفّة البحر الرومي ، وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيّق جدّا والبحر محيط بها شرقا وشمالا ، ولو شاء ساكنوها أن يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة[3]. وقد حفر من تقدّم في ذلك الموضع نحو غلوتين. وهي مدينة كبيرة مسوّرة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله. وحمّاماتها يجلب الماء إليها على الظهر من البحر[4].

---

[1] البكري ، المصدر السابق، 795.

[2] المصدر نفسه، ص 834.

[3] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص7.

[4] البكري، المصدر نفسه، ص 779.

- **مدينة مراكش:** وهي مدينة واقعة في أول الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، قال ابن سعيد : « حيث الطول إحدى عشرة درجة، والعرض تسع وعشرون درجة» أقام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك المرابطين في أرض صحراوية وجلب إليها المياه ، قال ابن سعيد: « وأوّل ما بني بها القصر المعروف بقصر الحجر ثم بنى الناس حوله ، ثم زادها يعقوب بن عبد المؤمن وكبرها ومصّرها وفخّمها وضخّمها وجلب إليها المياه والغراس » ، وقال في الروض المعطار:« وبنى سورها علي بن يوسف بن تاشفين في سنة ست وعشرين وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة وخمسمائة » [1].

❖ التأسيس لدعوة المرابطين في المغرب

إن تاريخ بدء تدفق المرابطين صوب المغرب الأقصى ، مضطربة و متضاربة أشد التضارب ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن المؤرخين لم يدونوا أخبار هذه المرحلة إلاّ بعد أن تم قيام الدولة ، وبرزت معالم المغرب قوية مستقرة ، كما أن النقود والنقوش التي يمكن أن يعتمد عليها لضبط هذه التواريخ لم تظهرإلاّ بعد أن استقرت الدولة في أرض المغرب ، و بدأت بعد أن تهيأت لها، ولتحديد تاريخ بدء هذه الحملة فريقان، فريق يؤرخها بعد سنة(450 هـ) ، وفريق آخر يذكر أن زحف المرابطين على المغرب الأقصى بدأ قبل سنة (450هـ) .

وقد ذكر ابن خلدون أن فتح المغربدأ عام (445 هـ) ، وفي وقت اشتدت فيه حاجة العالم الإسلامي في المغرب إلى دماء جديدة ، وقوى فتية يتبيّن أن الدور المغربي من أهم أدوار قيام الدولة، لعب دوار بالغ الأهمية [2]؛ ذلك أن قبائل المرابطين لو قنعت

[1] مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، د(ت ،ط) ، تعليق :سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص208.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق ، ص22.

بالسيطرة على إقليم الصحراء لتفرق شملها و ضاعت الجهود التي بذلوها . ومن أهم العوامل التي ساعدت على توغل المرابطين ، وأبعدها أثراً ذلك النزاع التقليدي المعروف بين قبائل البتر وقبائل البرانس ، هذا العداء الذي ظل يواجه تاريخ المغرب الأقصى مدة خمسة قرون متوالية [1].

بالإضافة إلى عامل أخر أن الصحراء أصبحت تضيق بجموع المرابطين ، الذين كانوا يتزايدون يوما بعد يوم.

كان ابن تاشفين يدرك أن مدينة فاس من المعاقل الحصينة التي تتطلب جيشا عظيما وبالفعل تلقته القبائل الفاسية من زواغة ولماية ولواته وصدينة وسدارته ومفيلة وبهلولة ومديونه، في خلق عظيم وعدد كثير، فكانت بينهم وبينه حرب عظيمة انهزموا فيها وانحصروا بمدينة صدينة.

فدخل عليهم بالسيف وهدم سورها وخربها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف رجل، وفتح استيلاء يوسف بن تاشفين على مدينة صدينة الطريق إلى مدينة فاس، التي ارتحل إليها يوسف لأن قلوب المرابطين لم تكن لتطمئن وعدوهم جاثم بمدينة فاس، خاصة وأنّ الوادى الذي تقع فيه كان مركز الثقل في المغرب الأقصى كله[2] .

فأصبحت فاس مع ابن تاشفين القاعدة الرئيسية لعمليات المرابطين، سواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق نحو تازا وملوية وتلمسان وحتى الجزائر، و أراد يوسف إخضاع قبائل الريف وجباله[3].

---

[1] البيدق، المصدر السابق، ص92 .

[2] عياض ، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، (د،ط) ، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1982،ص149-150.

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص219.

وجَّه الأمير يوسف ابنه المُعزَّ في جيش إلى سبتة لفتحها ، إذ كانت المدينة الوحيدة التي لم تخضع له، كان يحكُمُها بعد وفاة الحاجب بن سكوت ابنه ضياء الدولة يحيى، فحاصرها المعزُّ برًا وبحرًا، ودارت معركة بحرية طاحنة، وفى نهاية المطاف استطاع المرابطون أن يفتحوا سبتة، وقتل ضياء الدولة بعد أن ألقى القبض عليه، وكان ذلك عام (477هـ) [1].

❖تحليل أثر الفقهاء من التوسع المرابطي في المرحلة المغربية

تبدأ بلاد المغرب حسب المصادر إلى بلاد درعة وسجلماسة ، نحو الشمال و استطاع المرابطون وضع هذه المنطقة و دخولهم لكل مدينة من المدن الهامة . وجل المصادر

لا تتوقف عن ذكر هذه المعارك إلاّ لتسجل لنا شدتها ، أو عدد القتلى ، أو ما وقع نهبه خلالها ، البعض منها يفصح لنا أحيانا عن معلومات هامة تبيّن لنا أنه كان للفقهاء دور هام في حركة التوسع المرابطي داخل هذه المنطقة .

وهذه المعلومات لا تتعلق في الواقع إلاّ بعدد قليل من المدن هي: سجلماسة ودرعة ، ثم فاس ، وأخيرا سبتة .

نعتقد أنّ ما قام به الفقهاء في هذه المدن قد تكرر في المدن الأخرى . ثم حتى وإن افترضنا عدم حدوث ذلك ، فإن وقوعه في المدن المذكورة كفيل وحده بإعطاءه أهمية كبرى، وسوف تحاول التعرض إلى هذا الدور بالنسبة لكل الفقهاء ، ودخول المرابطين سجلماسة ودرعة .

من خلال الرواية التي يقدمها لنا البكري ، توفى سنة(487 هـ) ، دخول المرابطين إلى مناطق سجلماسة كان على ما يبدو عملا مفاجئا [2].

[1] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص71-72.

[2] البكري، المصدر السابق ،ص 167.

وفي نفس السنة دائما حسب البكري تجدهم يغزون مدينة أودغست التي يضعها على مسافة شهرين من سجلماسة نحو الجنوب ، وقد استعمل البكري في المناسبتين كلمة " غزو " مما يدل على أن هذه العمليات لا زالت شبيهة بالغارات التي كانت تشنها القبائل ضّد بعضها وضّد بعض المدن .

لذلك يمكن القول أن أحداث سجلماسة ودرعة، تبرز لنا ظهور واقع سنن جديدة أصبحت تعيشها المدن المغربية ، وهو واقع يتميز بنشأة ما يمكن أن نسميه " حزب " موالي للمرابطين يعمل على الاتصال بهم، وعلى تهيئة مناخ ملائم لدخولهم ، وهي عملية كانت تنسف من الداخل القواعد التي تركت عليها أنظمة الدويلات في هذه المدن[1].

ونحن نلمس أمثلة واضحة من هذه العلاقة، التي أصبحت بين الفقهاء والمرابطين، في حوادث فاس وسبتة، ثم بعد ذلك في حوادث الأندلس.

وتعرضنا لأحداث فاس يحتم علينا أن نتوقف لحظة عند مصادر هذا الموضوع لنسجل أنّ كتب الحوليات التي بين أيدينا لا تقدم لنا في الواقع أية إشارة – ظاهرة كانت أو خفية – حول تدخل ما حصل من طرف الفقهاء في هذه الأحداث ، وأنّ اعتمادنا كان أساسا على ما تقدمه لنا طبقات تراجم البعض من الفقهاء، وهو ما يؤكد لنا الأهمية لهذا الصنف من الكتب كمصادر تاريخية لا يمكن الاستغناء عنها أو تجاهلها .

وما ورد في التراجم المشار إليها ، يؤكد لنا بصفة لا تدعو إلى الشك ما كنا نبيّن ملامحه في أحداث سجلماسة ، حول قيام نشاط داخل المدن المغربية بقيادة الفقهاء ، يهدف إلى التمهيد لدخول المرابطين والعمل على الاتصال بهم. لقد كانت فاس تعيش العهد المغراوي منذ سنة(377 هـ) ، وهو عهد تقلبات و اضطرابات كثيرة ،عند قدوم

[1] ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص127.

المرابطين كانت فاس عاشت حربا أهلية مريرة بين أميريهما الأخوين فتوح وعجيسة اشتغل فيها أهل المدينة بالقتال[1].

وقد سجلت لنا كتب التراجم الدور الذي لعبه أحد الفقهاء في هذه الأحداث ، إذ نجده يسعى إلى الاتصال بالمرابطين ويعمل على جلبهم إلى هذه المنطقة ويشجعهم على احتلال فاس، وهذا الفقيه هو أبو الحجاج يوسف ابن عيسى بن ملجوم . وقد وردت معلوماتنا حوله عند ابن عبد الملك المراكشي (634 – 703 هـ) ، في القسم الذي خصصه للغرباء " من كتابه الذيل و التكملة الكتابي الموصل والصلة . " يقول ابن عبد الملك: « ولما خرج من الصحراء إلى المغرب أبو بكر بن عمر اللمتوني ، ووصل إلى السوس ومعه يوسف بن تاشفين ، وذلك سنة (461 هـ) ، سافر من فاس يوسف هــذا أي ابن ملجوم إليهم، حتى لحقهم بالسوس وأهدى إلى يوسف بن تاشفين سيبة ثياب وسرجا صبريا ، فأراد مكافأته على ذلك فأبي عليه وقال له : ما أنا تاجر ولكن زناته أهل جور عندنا ، وأنتم تملكون بلادنا فأردت معرفتك، ثم صرف إلى فاس ... » ، ثم يتحدث ابن عبد الملك عن دخول المرابطين لفاس و أولى وخروجهم منها ، إلى أن أوردها يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني(462 هـ) ، فألقى بها قاضيا أبا الحجاج على القرويين منها ، فنقله إلى قضاء مكناسة الزيتون ، ثم بعد برهة من الزمان قدمت لقضاء الجماعة بمراكش . وكان مقبول الإشارة و الرأي و مسموع القول[2].

فنحن نلاحظ أن دعوة أبي الحجاج صريحة وواضحة ، واستدعاه إلى الانتقال إلى فاس بما أنه أخذ في امتلاك المغرب .

---

[1] المغراوي، جوامع الاختصار والتبيان ، (د ، ط) ، فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق :أحمد جلولي البدوي، ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1995 ، ص18.

[2] ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، (د، ط) ، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1965م ، ص2.

وبإمكاننا أن نعتقد أن أبا الحجاج ، في لقائه مع يوسف ، قد طلب في وصف الحال بالمدينة ، وهو ما وقع تلخيصه هنا بعبارة " زناتة أهل جور ." ولا نستبعد أن يكون هذا الوصف مشابها للذي وصف به ابن زلو الوضع بسجلماسة ، فتحدث عن " البدع " ونحن هنا لا يمكننا أن لا نتذكر كذلك أبا عمران الفاسي و أسباب خروجه من فاس، حسبما يقدمه لنا صاحب كتاب " بيوت فاس " . وقد لا نخطئ إذا ما قلنا أن أبا الحجاج بن ملجوم هو في الواقع صورة أخرى لأبي عمران الفاسي[1].

وحوادث فاس هذه تأتي لتمكننا من تأكيد بعض ما كنا أشرنا إليه في مناسبات سابقة فهي تؤكد لنا أنّ الفقهاء لعبوا دورا فى التوسعات المرابطية ، وأنهم ساهموا في إنجاحها وفي رسم بعض منعطفاتها ، كما تؤكد لنا أن للمرابطين سياسة في هذا الشأن، تعتمد استمالة الفقهاء وحسن المكافأة على الدور الذي يقومون به . ثم هي تؤكد بما لا يدعو إلى الشك، وجود رغبة ملحة كانت تحدو الفقهاء السنيين الى التحرك والعمل على تغيير الأوضاع التي تعيشها مناطقهم ، وإنّ هذه " الرغبة " وجدت في الحركة المرابطية معبرا لطموحاتها . لكن بإمكاننا أن نجتاز خطوة أخرى في هذا التحليل أنّ هذه الحركة نفسها هي وليدة هذه الرغبة، وتعدّ واحدة من إفرازاتها .

و من جهة أخرى دخول الفقهاء المرابطين سبتة، و ما نملكه من معلومات حول العلاقة بين فقهاء سبتة وحركة التوسع المرابطي يعد أكثر تفصيلا – نسبيا – مما تملكه حول المناطق المغربية الأخرى ، ويعود ذلك أساسا إلى ما تمدنا به كتب التراجم عامة ، وما يمدنا به خاصة أحد المؤلفين المنتمين إلى هذه المنطقة وهو القاضي عياض التبني (476- 544هـ)[2].

[1] ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 7-8.

[2] ابي القاسم ، رجل صوفي من أصل رومي تلقب بثورة المردين وثار على الموحدين ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر نفسه ، ص208.

ومن خلال تتبعنا للأحداث التي أحاطت بدخول المرابطين لمدينة سبتة ، نقف على مظهرين من مظاهر ما يمكن أن تسميه التحالف الواضح بين الفقهاء والدولة الصاعدة، والمظهر الأول هو نفسه الذي رأيناه في سجلماسة وفاس ، ويتمثل في اتصال الفقهاء بالمرابطين و حثهم على دخول مدينتهم . أما المظهر الثاني فهو جديد على ما يبدو يمكن المرابطين من استغلال هذا التحالف بكيفية جديدة و ما يتعلق بالمظهر الأول : لقد وقع بسبتة على غرار ما وقع في سجلماسة وفاس اتصال بين الفقهاء من ناحية، والمرابطين من ناحية ثانية ، وإذا كانت أحداث سجلماسة وفاس قد جعلتنا نعتقد في وجود أزمة بين الفقهاء وأصحاب السلطة في هاتين المدينتين ، وهي أزمة يمكن اعتبارها أحد العوامل التي كانت تدفع الفقهاء إلى مثل هذا الاتصال حول أحداث سبتة، تمكننا من التأكد من وجود هذه الأزمة[1] .

لقد كانت سبتة تعيش منذ سنة 138هـ ، تقريبا ، العهد البرغواطي حيث سلطة الحاجب. ويبدو من خلال ما تقدمه المصادر، أنه كانت هناك أزمة بين فقهاء المدينة والسلطة الحاكمة ، وسجلت لنا كتب التراجم انفجارها في العديد من المناسبات[2].

فالفقيه قاسم بن محمد الرعيني ، المعروف بابن المأموني ، وحـد القبة مضطراً إلى الخروج من سبتة والتنقل بين مدن الأندلس ليستقر فيها أخيرا ، وقد أخذ نفوذه يزداد عند تولي إدريس بن يحي بن على الحمودي(434 هـ)، فقد اعتمد على رأس هذا السلطة ، لكن أخواله البرغواطيين الذين نصبوه سنة(438 هـ)، خلع من طرف ابن عمه محمد بن ادريس[3] .

[1] حسن علي حسن، المرجع السابق ، ص 448.

[2] بغدادي غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2006-2007 ، ص85.

[3] ابن عذاري ، المصدر السابق، ص 217 - 216 .

ويذكر عياض (476– 544 هـ) في ترجمة القاضي محمد بن غالب أن السلطة امتحنته بإخراجهم من سبتة مع جملة من الفقهاء الآخرين، وقلدته مناصب قضائية عامة وفي هذه المرة كذلك شملت العملية جماعة من الفقهاء الآخرين ، ذكر عياض أحدهم وهو أبو علي بن البراء من كبار الفقهاء ، ولا يمكننا في الواقع الوقوف على أسباب هذه الأزمات لكن شمول هذه الإجراءات لعدد من الفقهاء في المناسبتين يدل بوضوح أن هذه الأسباب لا تتعلق بشخص هذا الفقيه أو ذاك بل تتعلق بالفقهاء كمجموعة[1].

ويدل ذلك على أن العلاقة لم تكن مرضية بينهم وبين السلطة الحاكمة، ممّا سيدفع بالكثير منهم إلى اختيارات مختلفة.

قابو محمد حجاج بن الماموني ، ولد قاسم المشار اليه سابقا البرغواطي، والذي كان هو نفسه من كبار الفقهاء ، فضل البقاء بمالقة حتى انتهاء العهد ودخول سبتة تحت سلطة المرابطين ، أما الفقهاء الآخرون فقد عملوا على الاتصال بالمرابطين والالتحاق بهم مع هؤلاء ، سجلت لنا المصادر أسماء كل من الفقيه إسماعيل بن محمد بن يربوع القيسي والفقيه أبي محمد عبد الله من سبتة محمد ابن حمو المسيلي[2].

فقد ذكر عياض (476 – 544 هـ) أنّ ابن يربوع " خرج عن سبتة في أول ظهور للمرابطين ، فكان معهم هناك إلى أن توفي في أغمات ... وأن المسيلي قد رحل إلى المغرب[3].

[1] عياض ، المصدر السابق ، ص 173.

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2 ، ص8.

[3] عياض ، المصدر السابق ، ص 173.

وقد كان المرابطون يرحبون على ما يبدو بكل فقيه يلتحق بهم ، مهما كانت أسباب خروجه إليهم، ونحن نلتمس ذلك في ترجمة ابن عبد الله العجوز الفقيه الخطيب بسبتة ، فقد ذكرت المصادر أن ابن العجوز هذا من سبتة .

و المظهر الثاني جديد كما ذكرنا، ونقف معه على أسلوب من الأساليب التي استغل بها المرابطون تحالفهم مع الفقهاء.

وهذا الأسلوب سيطبع في جل الأحداث، و يتمثل في استصدار فتوى من الفقهاء كل ما أخذت السلطة باتخاذ قرار هام.

وبالإشارة لمعنى الفتوى ، وأهميتها سواء في قسمها الأول المتعلق بالسؤال ، أو في قسمها الثاني المتعلق بالجواب لنقدم ملاحظة نعتبرها أساسية حول القسم الثاني ، أي الجواب.

إن كان على هذا الجواب سيكون متماشيا والقوانين الشرعية، في الواقع الإجابة قدر الحدود التي يرسمها له السؤال ، وذلك حسب المعطيات التي قدمها له، والكيفية التي يطرح بها المشكل ، فالمستفتي خاصة إذا كان مطلعا على ميدان الفقه، أو له في خدمته فقهاء يمكن لهم الإلمام بحيثيات السؤال و أن يترقب الجواب الذي يرغب فيه والمتماشي بمصالحه .

وهذا الأسلوب سيكون من مكونات السياسة المرابطية التي سيعتمدها الفقهاء في إيجاد الأجوبة الملائمة ، بل كذلك جعل الحكم فيها حسبما تريده السلطة .

إنّ كل الدلائل تتفق على أن احتلال سبتة كان من أصعب ما واجهه المرابطون في توسعاتهم، ولعل ذلك يعود إلى موقع سبتة الخاص والمحصن و لا يمكن احتلاله إلاّ إذا

تضافرت فيه قوات برّية وبحرية ، ويظهر أنّ القوة البحرية كانت تعوق المرابطين فعجزوا عن دخول المدينة لمدة طويلة [1].

إذا تتبعنا التواريخ التي يقدمها لنا كل من ابن أبي زرع، وابن خلدون نجد أن يوسف بن تاشفين قد وصل بلاد تمارة ، من الريف إلى طنجة، سنة (460 هـ) ، وخرج منها

سنة (463 هـ) ، إلى بلاد ملوية ففتح حصونها [2] ؛ و ذكر ابن أبى زرع أنّ قوامه 2000 فارس من المرابطين، و 20.000 من سائر القبائل المغربية ، واستطاعوا احتلال سبتة فوصلوا تلمسان ، ثم عادوا إلى مناطق الريف ، فاحتلوه ثم توجهوا إلى المغرب الأوسط فاحتلوا وجدة و وهران وتكورة ووصلوا مدينة الجزائر ورجع يوسف إلى مراكش سنة (475هـ) [3].

لكن ما كان يجري في الأندلس من أحداث خطيرة سيغير العديد من المعطيات ، ويمنع يوسف بن تاشفين فرصة استعمال سلاح الفقهاء.

فقد اشتدت وطأة الزحف المسيحي على ملوك الطوائف بالأندلس وأيقن أغلبهم بضرورة الاستنجاد بالمرابطين، وتواترت رسلهم على يوسف في هذا الموضوع، لكن الكثير من الاشارات تدل بوضوح على أنّ يوسف استغل هذا الظرف الجديدة ليحقق أهدافه في سبتة، فنحن نلاحظ أنّه جعل من قضية سبتة عائقا كبيرا أمام نجدة الأندلسيين وحمايتهم ، فقد ردّ يوسف في أحد ردوده على الوفود الأندلسية ، تنقله إليهم بنجاحه في احتلال سبتة قائلا : « إذا فتح الله لي سبتة وصلت بكم » ، وتراه يستعمل سلاح الفقهاء و الدور السلبي الذي يقوم به صاحب سبتة في قضية حماية الدين[4].

---

[1] محمد الخطيب، سبتة ودورها في إثراءالفكر الإسلامي،(د ط)، جمعية الثقافة الإسلامية، تطوان، 1984م، ص 28.

[2] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 142.

[3] ابن أبي زرع ، المصدر السابق ، ص 142.

[4] أحمد مختار العبادي ، تاريخ المغرب والأندلس ، د (ت، ط) ، دار النهضة العربية ، بيروت، ص222.

ويؤكد لنا أبو عبد الله الحميري في سنة (866 هـ)، و ذلك في حديث أورده عن معركة الزلاقة في كتابه " الروض المعطار" عندما قال : « أنّ يوسف بن تاشفين أذن صاحب سبتة بقصده الغزو وتشوقه إلى نصرة أهلها و احتياجه لفتوى تبيح ذالك»[1].

ورغم عدم امتلاكنا للنص الأصلي للفتوى التي تحصل عليها يوسف سؤالها ولا في جوابها، فإنه ليس بالصعب علينا أن نتصور الصيغة ، والمشكلة أمام الذين أرادو استفتاءهم ، فإن يوسف أكد فيها على رغبة ملحة في الجهاد، ونصرة المسلمين ، وأنّ ذلك لا يتأتى له إلاّ بالاجتياز من سبتة، وأن صاحبها منعه ذلك فعمل بذلك على إعانة المسيحيين وتسهيل مهمتهم، ولا يمكن للجواب أن يكون: أنّه من كانت هذه صفاته ، فهو خارج عن الدين وجب قتالــه. وهذه الفتوى تضعف كثيرا موقف صاحب سبتة وتجعله منعزلا، كما خلق تيارا من التعاطف مع المرابطين داخل المدينة نفسها ، ولا شك أنّ الفقهاء قاموا بدور نشيط في إذكائه، ثم هي تمنح أمراء الطوائف عذرا على احتلال سبتة إن لم نقل أنّها تجبرهم على ذالك، إذ يؤكد ابن خلدون أنّ القوات المرابطية بقيادة المعز بن يوسف بن تاشفين ، كانت تهاجم برّا ، كانت أساطيل المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية تحاصرها بحرا، واستطاعت القوات المتحالفة دخول المدينة في الربيع آخرسنة(476هـ)[2] .

المبحث الثالث : مرحلة الأندلس

لعب العامل الجغرافي دورا في توجيه الدولة إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وأصبحت شواطؤها الطويلة معرضة لأن تغير عليها الأساطيل الإفرنجية ، و عليه اهتمت الدولة بما يجري في حوض البحر المتوسط الغربي من صراع بين المسلمين والفرنجة من أجل السيادة البحرية ، كما أصبحت تطل على الأندلس وتهتم بما يجرى فيه .

[1] الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي، تحقيق: ليفي بروفينصال،دار الجبل، بيروت، 1988 م ، ص208 .

[2] حسن علي حسن ، المرجع السابق، ص 84 .

وعليه سنتعرض إلى جغرافية المرحلة الأندلسية في العنصر الأول، و تأسيس الدعوة في الأندلس في الثاني وتحليل المرحلة في الثالث.

❖ جغرافية المرحلة الأندلسية

- **مدينة طليطلة** :معنى طليطلة فرح سكانها يريدون لحصانتها ومنعتها[1]، ويرجع اسم المدينة إلى العهد الروماني، حيث كان يطلق عليها اسم " توليدو" ، وتعني بالرومانية المدينة المحصنة، تقع على بعد 75 كيلومتراً جنوب العاصمة الإسبانية مدريد[2].

- **دويلات الطوائف:** في الأندلس الغربية و الوسطى ، بنو جهور في قرطبة ، بني عبد في إشبيلية ، بنو الأفطس في بطليوس.
  - في جنوب الأندلس: بني برز البقرمونة، بني زيري بغرناطة.
  - في شرق الأندلس بنو صمادح بألمرية، العنصر الصقلبي ببلنسية.
  - في الثغر الأعلى: بنو تجيب بسرقسطة[3].

- **الزلاقة** : بالقرب من سهل بطليوس في منطقة ساغراخاس بإسبانيا سميت موقعة الزلاقة بهذا الإسم لكثرة الدماء فيها، حتى كان الرجال والخيول ينزلقون، فقد كانت الأرض صخرية.

- **الجزيرة الخضراء** : مدينة أمام سبتة، تقع جنوبي الأندلس ،وتتوسط مدن الساحل.

---

[1] البكري ، المصدر السابق، ص 908 .

[2] الحميري ، المصدر السابق، ص135-130.

[3] شهاب الدين الحموي، معجم البلدان ، ط 9 ، المجلد الرابع ، دار صادر، بيروت، 1119م ،ص324 .

❖لتأسيس لدعوة المرابطين في الأندلس

عانت بلاد الأندلس من التفكك السياسي وتدهور العلاقات فيما بين دويلات الطوائف الأندلسية، وتربص الممالك النصرانية بهذه الدويلات ، وانتزاع بعضها من أيدى المسلمين، فكان سقوط طليطة في أيدى ألفونسو السادس ملك قشتالة[1] .

نرى في بلاد المغرب تطورات قيام دولة قوية جعلت من الجهاد في سبيل الله أساساً لها ، حتى إذا أيقن أهل الأندلس بأطماع الممالك النصرانية في بلادهم، أخذوا يعلقون الآمال على هذه الدولة الفتية ، دولة المرابطين.

على إثر الأحداث السابقة أخذ يوسف بن تاشفين يعد العدة للعبور إلى الأندلس، فطلب من المعتمد بن عباد تسليم الجزيرة الخضراء ليجعلها تحت تصرفه لحماية ظهر المرابطين، وتأمين خط الرجعة فوافق ابن عباد على ذلك ، ثم زحف بجيوشه إلى الجزيرة الخضراء ، فقابله أهل الأندلس مقابلة كريمة تنّم عن الرغبة الصادقة في الجهاد وكان جواز يوسف في (479هـ)، و عبر يوسف البحر عبوراً سهلاً حتى أتى الجزيرة الخضراء فخرج إليه أهلها بما عندهم من الأقوات والضيافات، وأقاموا له سوقا ،جلبوا إليه ماعندهم من سائر المرافق، وأذنوا للغزاة في دخول البلد والتصرف فيها ، فامتلأت المساجد والرحاب بالمتطوعين وتواصوا بهم خيراً [2].

فلما علم ألفونسو السادس وكان وقتها محاصراً سرقسطة أخذ في إعداد العدة لمواجهة المرابطين، فاستنفر الصغير والكبير، ولم يدع في أقاصي مملكته من يقدر على

[1] ابن الأبار ، المصدر السابق ، ص 131-165.

[2]ابن عذارى ، المصدر السابق، ص 244-249.

النهوض إلّا استنهضه، كما تحالف مع سانشو راميريز ملك أرجوان، وصاحب بنبلونة و الكونت برنجاز ريمونه، كما توافد إليه عدد من المتطوعة من جنوبي فرنسا وإيطاليا [1].

إنّ القارئ المتتبع لسير الأحداث في هذه المعركة وما قبلها لا يسعه إلاّ الإشادة بموقف يوسف بن تاشفين، وتخطيطه في المعركة وبخبرته في الدفاع عن بلاد المسلمين كذلك بالإشادة إلى جميع من شاركوا في هذه المعركة المصيرية وخاصة المتطوعة من رجال القبائل العربية والبربرية والفقهاء والعلماء الذين أبلوا بلاء حسنا في هذه المعركة طالبين النصر أو الشهادة ، يقول ابن أبي زرع : « واستشهد فيها من المسلمين نحو الثلاثة آلاف رجل ممن سبقت لهم من الله الحسنى وختم لهم بالشهادة » .

❖تحليل أثر الفقهاء من التوسع المرابطي في المرحلة الأندلسية

شارك هؤلاء العلماء والفقهاء مشاركة فعالة في مواجهة هذا العدّو الخطير ، الذي استهدف اجتثاث الإسلام والقضاء على المسلمين في تلك الديار ، فقاموا بحثّ الناس على الجهاد عن طريق الكلمة في دروسهم والوعظ في المساجد والتجمعات ، كذلك أتبع العلماء القول الفعل ، فتقدموا صفوف المجاهدين وحملوا السلاح في مواجهة العدو لإعلاء كلمة الله والدفاع عن كيان المسلمين ، وتتعدد الأمثلة، فمن هؤلاء العالم الفقيه يوسف بن عيسى بن قاسم الملقب بالملجوم الأزدى ، من أهل مدينة فاس ، وليّ قضاء مدينة القرويين بفاس في أيام زناتة ، ثم صرفه عنها يوسف بن تاشفين في ولايته المغرب وولاه قضاء مكانسة الزيتون ، ثم قضاء الجماعة بمراكش ، وغزا معه غزوات بالأندلس وعلى رأسها الزلاقة ، توفى سنة(492هـ) [2].

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 382.

[2] النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، ط5 ،دار الأفاق الجديدة، بيروت،1173م ، ص75.

و نشاط بعض الفقهاء في أوقات مختلفة لمحاولة التقريب بين ملوك الطوائف. ومن أبرز وجوه هذا التيار نذكر أحد شيوخ قرطبة، وهو ذكوار أحمد ، أخو قاضيها أبو على الحسن بن ذكوان.

الخاتمة:

وفي الأخير حاولنا استغلال المصادر والمراجع للوصول إلى نتائج اعتبرناها مرضية يمكن اعتمادها كأرضية لبحوث قادمة تسمح لنا بإثارة الكثير من القضايا التي هي بحاجة إلى البحث والتعمق.

النتائج الإيجابية:

- كان تقريب أمراء المرابطين للفقهاء ومشورتهم والأخذ برأيهم سببا في سداد الكثير من القرارات، حتى وصف ابن الخطيب يوسف بن تاشفين بأنه قرب الأذكياء[1].
- كانت مشورة الفقهاء بضرورة العبور للأندلس للوقوف في وجه هجمات الممالك الإسبانية، ثم المشورة بضرورة ضم الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف بادرة خير للأندلس ، حيث ثبت بسبب ذلك قرابة أربعة قرون أخرى.
- كان الفقهاء يشاركون في المعارك ضدّ الإسبان ،فقد شاركوا في معركة الزلاقة ، وكان الإمام المفسر عبد الحق ابن عطية يكثر الغزوات في جيوش الملثّمين ،كما استشهد العديد منهم في المعارك ، ومنهم أبو علي الصدفي الذي استشهد في معركة فتندا سنة(514 هـ-1121م) [2].
- شارك الفقهاء بأموالهم في المشاريع الخيرية ، مثل بناء المساجد وترميمها بل منهم من صور مدينة إشبيلية[3].

---

[1] ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج4 ،مراجعة وتقديم وتعليق بوزيان الدراجي ،دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع الجزائر2009 ، ص 810.

[2] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الثالث ، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2، 1990م ، ص51.

[3] إبراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ ،ج1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 2000م ، ص 169.

- أدّى اهتمام الفقهاء بالفقه المالكي إلى انتشار حركة التأليف حيث ألف عدة مؤلفات موسوعية في المذهب المالكي ، مثل شرح المستخرجة للقاضي أبو الوليد ابن راشد، الذي يزيد على 100 جزء وعنوان هذا شرح" البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل" ، و"المنتقى" ، في شرح الموطأ لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي(474هـ،1082م)، قيل هو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك[1].
- انتشر العدل بين النّاس بسبب تولي الفقهاء للقضاء، ونفاذ أحكامهم ومشورة الأمراء والولاة لهم فلم يجرأ في الدولة المرابطية طول أيامهم مكسر الإخراج ولا وظيفة من الوظائف المخزنية وكانت أيامهم أيام رفاهية ورخاء .
- استطاع قضاة المالكية القضاء على المذاهب المنحرفة من شيعه وخوارج وبرغواطية، والتي كانت السبب في تعرض البلاد للفتن والاضطرابات وقد لعب الفقهاء دورا بارزا في سبيل توحيد بلاد المغرب والأندلس على أساس السنة والمذهب المالكي[2].

[1] سعدون عباس ، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1985 ، ط1، ص 166.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق ، ص 260.

النتائج السلبية:

كان لحادثه إحراق كتاب إحياء علوم الدين" للغزالي" صدى كبير أدّى إلى سخط الكثير من العامة، ممّا سهّل على محمد بن تومرت النّيل من المرابطين والّدعاية لحكمه[1].

- نتج عن انصراف كثير من الفقهاء إلى ملذات الدنيا والانشغال بالحديث عن كتب الغزالي، إلى تدهور الحياة الاجتماعية حيث انتشر الفساد والشعوذة[2].
- أضعف إهمال الفقهاء للعلوم العقلية واكتفائهم بالعلوم النّقلية، موقف المرابطين أمام الدّعوة التومرتية.
- إن النّفوذ والجاه والمكاسب التي حققها الفقهاء جعلتهم ينتهزون فرصة ضعف المرابطين ليعلن كلّ واحد الاستقلال في بلد[3].

ومنه نخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات والملاحظات :

- أن الخصوصيات و الميزات التي توفرت في المذهب المالكي، هي التي دفعت زعماء الدولة المرابطية إلى الإقبال على المذهب المالكي، وجعلوه محور دعوتهم وأساسا لبناء دولتهم، اشتملت عليه تعاليمه ومبادئه من بساطة وسهولة، وبعدها عن التعقيدات والتأويلات التي كانت تحملها معتقدات الفرق والمذاهب الأخرى الموجودة آنذاك ، من خوارج وفرق كلامية وجماعات شيعية وصوفية وغيرها ، وهو ما جعله يعرف انتعاشا قويا في المغرب الإسلامي على وجه التحديد.
- أمّا الأسس المذهبية التي قامت عليها الدولة المرابطية، فإن جهود زعمائها تمحورت حول فكرة إعادة نشر مبادئ الدين الإسلامي السنّية الصحيحة، وإحيائه وفق تعاليم المذهب المالكي وتحقيق فكرة التوحيد المذهبي المالكي لبلاد المغرب والأندلس حتى تمكن المذهب في عهدهم من السيطرة على سائر المذاهب في المغرب والأندلس

---

[1] ابن الأبار، ، المصدر السابق، ص 34.

[2] ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس و محدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ،1989 م ، ص237.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق ، ص 61.

ومحاربة البدع والضلالات للحفاظ على وحدة الأمة ومذهبها المالكي الرسمي، ومنها التزام أحكام الشرع في الفروض الدينية كالصلاة والزكاة والصيام كذلك[1].

- ومن آثار الالتزام بالمذهب المالكي في الدولة المرابطية ، قيام الأمراء بتقريب فقهاء المالكية وتعيينهم في المناصب العليا في الدولة ، وخاصة الأمير علي بن يوسف بن تاشفين الذي قام بإحاطة نفسه بفقهاء المالكية ووضعهم على رأس الجهاز الإداري والقضائي، حيث شغلوا مناصب الشورى إلى جانب أمير المسلمين في مراكش ، وفي الأندلس وقواعدها الكبرى .
- إنّ سعي الأمراء المرابطين للحفاظ على التوحيد المذهبي المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، يبيّنه إقدام السلطةالمرابطية بإشارة الفقهاء المالكية ، على إحراق المؤلفات التي عدوها كتب بدع و ضلالة ، ككتب الإمام أبو حامد الغزالي، وأهمها كتاب إحياء علوم الدين، كون الآراء الفقهية للكتاب تخالف السياسة الفقهية للدولة، وميولات الفقهاء المالكية وأسلوب تفكيرهم من جهة أخرى[2].
- لقد حافظ الأمراء المرابطين المتعاقبين على دورهم في نشر الإسلام، وتدعيم وجوده في المناطق التي بلغتها دعوتهم وخضعت لسلطانهم ، وفق تعاليم المذهب السنّي المالكي التي رسمها داعيتهم الأول ابن ياسين، من خلال توسعاتهم في بلاد المغرب وجهادهم بالأندلس، إلى أن ظهرت الدعوة الدينية للموحدين بزعامة عبد الله ابن تومرت، التي كانت سببا في زوال دولة المرابطين ووراثتها في المغرب والأندلس[3].

---

[1] ابن فرحون المالكي ، المصدر السابق ، ص248.

[2] المصدر نفسه، ص245.

[3] ابن خلكان، المصدر السابق ، ص 409 .

قائمة المصادر

1. ابن أبي دينار عبد الله محمد بن أبي القاسم الوعني القيرواني(ت 1111هـ/1911م) :المؤنس في أخبار إفريقية وتونس،(د ن)، ط 1، تونس،1781م.
2. ابن أبي زرع ،علي بن عبد الله ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق: كارل بوحن نور تبرغ ، مكتبة الثقافة الإسلامية القاهرة ، ط1 ،2006م.
3. ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، ت (658هـ)،معجم أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ،ط1 ، 2006م.
4. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم ،الكامل في التاريخ، الجزء الثامن، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1997 م.
5. ابن الخطيب ،لسان الدين، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تصحيح : البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس .
6. ابن الخطيب ،لسان الدين،الإحاطة في أخبارغرناطة،ج 4،مراجعة وتقديم وتعليق، بوزيان الدراجي، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع ،(د،ط)، الجزائر، 2009م.
7. ابن الزيات، التادالي،أبي يعقوب بن يحيى ،ت(617هـ)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق:أحمدالتوفيق، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 1984 م.
8. ابن حزم، الأندلسي الظاهري ،ت(456هـ) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وآخرون ،(د،ط) ، دار الجبل ، بيروت.
9. ابن خلدون ،عبد الرحمن ، العبر وديون المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، تحقيق خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(د، ط) ، بيروت، 2000 م.
10. ابن خلدون،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الخضرمي الإشبيلي،(717هـ/1419م) ،العبر وديوان المبتدأ والخبر في العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت،2019م.

11. ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق :إحسان عباس ج7،دار صادر ، بيروت، (د، ط) ، 1978م.
12. ابن شكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، ت(578هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ،ط1، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني ، بيروت،1989م.
13. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، (د،ط) ،تحقيق :إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،1965م.
14. ابن عذارى المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،تابعها إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت ،1983م.
15. ابن فرحون المالكي ، الديباج المذهب في معرفه أعيان المذهب، تحقيق: محمد أحمد أبو النور،ج2، دار التراث للطبع و النشر، القاهرة،(د،ط)،(د،ت).
16. ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين المالكي،ت (799هـ)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،دراسة وتحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م.
17. أبناء الأسير أبو الحسن علي الشيباني، ت(630هـ)،الكامل في التاريخ، مراجعة محمد يوسف الدقاق ، ط1 ، دار الكتب ، بيروت، 1987 م.
18. أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط ،(د،ط)، 1971م.
19. البكري أبي عبيد ، ت(487هـ)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د(ط،ت).
20. الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي، تحقيق: ليفي بروفينصال، دار الجبل، بيروت، ،1988م .

21. عياض بن موسى السبتي،ت(544هـ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي ، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، 1983م.

22. القضاعي ، محمد بن أبي بكر، أبو عبد الله ، ،المعروف بن الآبار، التكملة لكتاب الصلة ، ج1 ، تحقيق عبد السلام الهرامس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، 1968م.

23. المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، اعتنى به صلاح الدين الهواري ،المكتبه العصرية، بيروت ، ط1 ، 2006 م.

24. المغراوي، جوامع الاختصار والتبيان ، فيما يعرض للمعلم وآباء الصبيان، تحقيق : احمد جلولي البدوي، ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1995.

25. المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني،ت (1471هـ) ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس،(د،ط)، ج2،دارصادر، بيروت 1988م.

26. مؤلف مجهول :الإستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد, (د ط)،دار الشؤون الثقافية العامة، العراق, (د ت ن).

27. الونشريسي ،عبد الواحد، أبو العباس احمد بن يحي،ت(914هـ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، ط1 ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981م .

28. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله،الحموي،(929هـ/1221م)، معجم البلدان، ط9، دار صادر، بيروت، 1119م.

قائمة المراجع

1. بولطيف لخضر ، الفقيه والسياسة في الغرب الإسلامي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر ،ط1، 2005م .
2. حركات إبراهيم ،المغرب عبر التاريخ ،ج1، دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء، (د،ط)، 2000م.
3. حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، صفحه مشرقه من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة، د (ط،ت) ، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.
4. حسن علي حسن :الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)، ط 2،مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.
5.حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)، ط1، مكتبه الخانجي، القاهرة، 1980م.
6. حماه الله ولد السالم، حركة المرابطين بين العصبية والدعوة، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط ، 2015م، (د،ط).
7. حمدي عبد المنعم حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د،ط)، 1997م.
8. الخطيب محمد، سبتة ودورها في إثراءالفكر الإسلامي،(د ط)، جمعية الثقافة الإسلامية، تطوان، 1984م.
9. سعدون عباس نصر الله،دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،ص ب749-11، ط1.
10. السيد عبد العزيز ، المغرب الكبير، القاهرة، 1966م، (د،ط).
11. السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، 2008م.
12. الشامي أحمد صالح ، الإمام الغزالي حجة الإسلام ومجدد المئة الخامسة، ط2 ، دار القلم، دمشق، 2002م.

13. الصلابي علي محمد ، فقه التمكين عند الدولة المرابطين، مؤسسة إقرأ، القاهرة، ط1، 2000م.
14. الصلابي علي محمد: تاريخ الدولتين المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، دار المعرفة، بيروت،2011م.
15. العبادي أحمد مختار ،دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، (د،ط)، (د،ت) .
16. عنان محمد عبد الله ،دولة الإسلام في الأندلس ،العصرالثالث ، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط2، 1990م .
17. القادري بوتشيش إبراهيم ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع الذهنيات، الأولياء) ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ،1991م.
18. القادري بوتشيش إبراهيم ، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،(د،ط)،(د،ت).
19. الهنتاني نجم الدين ،المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي،منشورات تبرالزمان، تونس،2004م،(د، ط).

الرسائل الجامعية

1. بغدادي غربي: خطة الكتابة على عهد الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، (2006–2007). رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية وآدابها، دمشق، (1407هـ،1987م).

2. بن بيه ، محمد محمودعبد الله ،الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، أطروحة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية ،العام الدراسي (1418هـ – 1997م).

3. السلطاني الجيلالي ، اتجاهات الشعر في عصر المرابطين بالمغرب والأندلس، رسالة ماجستير، جامعة دمشق ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها،دمشق،(1407هـ،1987م).

4. صلاح آدم عيسى محمد، قيام دولة المرابطين ودورها في نشر الإسلام في السودان الغربي (448 هـ، 541 هـ)(1056–1147م)، بحث تكميلي لنيل درجه الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة النيلين، 2017م.

المجلات

1. حسين مؤنس، نصوص سياسية عن فتره الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصري للدراسات الاسلامية بمدريد، مج3، 1953م.

2. الشيخ عدة، الدعوة الدينية المرابطية –أسسها وخصوصيتها وأثرها في قيام الدولة (447/ 542هـ)(1055 /1148م)، مجلة الإحياء، المجلد 20، العدد 27 ، نوفمبر 2020م.

3. عدة الشيخ ولد جلول، الأسس المذهبية للدولة المرابطية وأبعادها المالكية، مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد(2)، الإصدار(1) ، 2021م.

4. محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين،صحيفة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد، مجلد7،8،سنة1958و1960م.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	1
الفصل الأول: عوامل توسع المذهب المالكي في الدولة المرابطية	**5**
المبحث الأول: الأسس المذهبية التي قام عليها حكم المرابطين	5
المبحث الثاني : دوافع تبني المرابطين للمذهب المالكي	13
المبحث الثالث: أسباب نفوذ فقهاء المالكية في المجتمع المرابطي وأهم آثاره	17
الفصل الثاني:موقف المالكية من توسعات المرابطين	**28**
المبحث الأول:المرحلة الصحراوية	29
المبحث الثاني:المرحلة المغربية	35
المبحث الثالث : مرحلة الأندلس	47
الخاتمة	51
قائمه المصادر	55
قائمه المراجع	59
الرسائل الجامعية	61
المجلات	62

Study summary:

The Almoravids adopted and promoted the Maliki school of jurisprudence as part of their religious reforms. They sought guidance from Maliki jurists (foqaha) to legitimize and guide their governance.

The Maliki school is one of the four major Sunni Islamic schools of jurisprudence (fiqh). It was founded by Imam Malik ibn Anas in the 8th century in Medina.

The close alliance between the Almoravid rulers and the Maliki foqaha helped to establish a theocratic state where Islamic law, as interpreted by the Maliki school, was strictly enforced.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): شبيكة حدة

الصفة(طالب، استاذ باحث, باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 219880995000398 0008

الصادرة بتاريخ : 08 .05 .2022

عن دائرة : المسيلة

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم : التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي

تحت رقم التسجيل: UN 280 120 23 3085 07 90 68

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج مذكرة ماستر مذكرة ماجستير اطروحة دكتوراه)

عنوانها: مواقف فقهاء المالكية من توسعات المرابطين فيما بين (455 و 543)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2024/06/06

امضاء المعني (ة):

المرجع القرار الوزاري رقم : 933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): زيتوني يسارة

الصفة(طالب، استاذ باحث, باحث دائم): طالب

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 11987 11640635 00001

الصادرة بتاريخ : 2017.06.01

عن دائرة : برج الخدير برج بوعريريج

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي

تحت رقم التسجيل: UN 2801202323073075918

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج مذكرة ماستر مذكرة ماجستير اطروحة دكتوراه)

عنوانها: مواقف فقهاء المالكية من توسعات المرابطين فيما بين (557 - 483هـ)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في 2024/06/06

امضاء المعني (ة):

المرجع القرار الوزاري رقم : 933 المؤرخ في 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.